Control Number 9100915.07

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES
ARABIC PRESERVATION PROJECT

Bibliographic Microfilm Target

Original Material as Filmed - Existing Bibliographic Record

Shelf List

al-Ghazzālī, 1058-1111.
Bughyat al-murīd fī masā'il al-tawḥīd.
Cairo, Subayh [19--?]
52 p. 24 cm.

In Arabic.
Imperfect: p.53 to end wanting.
Contents.- Risālat al-tawḥīd li Malikshāh.- al-Tajrīd fī kalimat al-tawḥīd, by Majd al-Dīn al-Ghazzālī.- Risālat al-ṭayr.

RM-u- 36- PM-MD Over

Restrictions on use:

Filmed by: Mid-Atlantic Preservation Service, Bethlehem, PA 18015

TECHNICAL MICROFILM DATA:

Film Size: 35MM

Reduction Ratio: 11x

Image Placement: IA (IIA) IB IIB

Date Filmed: 11-22-91   Initials: KG

APP2 2-14-90

al-Ghazzali

Bughyat al-murid

بغية المــريد

في

رسائل التوحيد

وهي جملة رسائل مفيده وجليله تشتمل على أمهات العقائد وأصول الدين وما يجب على المخلوق للخالق جل شأنه والواجب معرفته على كل إنسان من علم التوحيد والكلام وتصحيح العقيدة

تأليف

حجة الإسلام الامام الاوحد زين الدين

شرف الأئمة فخر الانام

محمد أبي حامد الغزالي الطوسي

رضي الله عنه آمين

طبعت بالمطبعه المحمودية التجارية

لصاحبها : محمود علي صبيح

بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

رسالة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إنعامه وإفضاله * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله * قال الشيخ الامام العالم العلامة زين الدين حجة الاسلام شرف الأئمة أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالى رحمة الله عليه يخاطب السلطان محمد بن ملك شاه رحمة الله تعالى عليه .

« إعلم » ياسلطان العالم وملك الشرق والغرب إن لله تعالى عليك نعما ظاهرة وآلاء متكاثرة يجب عليك شكرها ويتعين إذاعتها ونشرها ومن لم يشكر نعمة الله تعالى فقد عرض تلك النعم للزوال وخجل من تقصيره يوم القيامة وكل نعمة تفنى بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب خطر لان العمر وان تطا ولت مدته لا ينفع طوله اذا انقضى عدده فان نوحاً عليه السلام عاش ألف سنة وكأنه لم يكن فالقدر للنعمة التى تبقى عليك على الدوام مدى الليالى والأيام وهى نعمة الايمان الذى هو بذر السعادة المؤبدة والنعمة المخلدة والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة وزرع بذر الايمان فى صفاء صدرك وأودعه فى قلبك وسرك ومكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن تسقيه من ماء الطاعة حتى تصير شجرة أصلها فى قعر الأرض السفلى وفرعها فى السموات العلى وإعلم أن لهذه الشجرة عشرة أصول وعشرة فروع فأصلها الاعتقاد بالجنان وفرعها العمل بالأركان

(قاعدة الاعتقاد الذى هو أصل الايمان)

إعلم أيها السلطان إنك مخلوق ولك خالق . وهو خالق العالم وجميع مافى العالم وأنه واحد لاشريك له فرد لامثيل له كان فى الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الأبد وليس لبقائه فناء وجوده فى الأزل واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج وليس له إلى أحد إحتياج وجوده به ووجود



كل شيء به . (الأصل الثاني) في تنزيه الخالق تعالى إعلم أن البارى تعالى ذكره ليس له صورة ولا قالب فانه لا ينزل ولا يحل في قالب وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم وعن لماذا ولم وأنه لايشبهه شيء من الأشياء ولا يشبه شيئاً وكل ما يخطر في الوهم والخيال من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها وأنه تعالى ليس في مكان ولا على مكان لان المكان لايحصره وكل ما في العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره وأنه قبل العرش وكان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته وأنه مقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وأنه متصف بالصفة التي كان عليها في الأزل ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه مقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو في الدنيا معلوم وفي الآخرة مرئي كما نعلمه في الدنيا بلا مثل ولاشبه لان تلك الرؤيا لاتشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شيء . (الأصل الثالث) في القدرة وأنه تعالى على كل شيء قدير وأن قدرته وملكه في نهاية الكمال فلا سبيل اليه للعجز والنقصان بل ماشاء فعل وما لم يشأ لم يفعل وأن السموات السبع والأرضين السبع والكرسي والعرش في قبضة قدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته وهو مالك الملك لامالك إلا ملكه . (الأصل الرابع) في العلم وأنه تعالى عالم بكل شيء معلوم وأنه محيط بكل شيء وليس شيء من العلى الى الثرى إلا وقد أحاط به علمه لأن الأشياء جميعها بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت وأنه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الامطار وورق الأشجار وغوامض الأفكار وإن دارت الرياح في الهوى ظاهرة مثل نجوم السماء . (الأصل الخامس) في الارادة وان جميع ما في العالم بارادته ومشيئته وليس من قليل أو كثير صغير أوكبير خير أوشر نفع أوضر زيادة أو نقصان راحة أو نصب صحة أووصب الا بحكمه وتدبيره ومشيئته وتقديره ولو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها شيئا أو يزيدوا فيها بغير إرادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ولايرد مشيئته شيء مهما كان ومهما يكون وهو كائن فانه بتدبيره وأمره وتسخيره ..

(الأصل السادس) : فى أنه سميع لكل مسموع بصير بكل مرئى وإن القريب والبعيد فى سمعه متماثل والضياء والظلام فى بصره شىء واحد وأنه يرى ديب النملة فى الليلة المظلمة وما هو أخفى لايعزب عن سمعه صوت الدودة تحت أطباق الأرض وأن سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين وكما أن علمه لايصدر عن فكرة ففعله بغير آلة يقول للشىء كن فيكون . . (الأصل السابع) : فى الكلام وأن أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب ومهما أخبر به من وعد أو وعيد فانه حق وأمره كلامه وكما أنه عالم مريد قدير سميع بصير فهو متكلم بغير حلق ولا لسان ولا فم ولا أسنان والقرآن والانجيل والتوراة والزبور والكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفة وكل صفاته قديمة لم تزل وكما أن الكلام عند الآدمى حرف وصوت فكلام الله تعالى منزه عن الحرف والصوت . . (الأصل الثامن) فى أفعاله تعالى وجميع مافى العالم مخلوق له تعالى وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد ومهما خلقه من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتمكن الظلم من أفعاله لان الظالم الذى يتصرف فى أفعال غيره والخالق تعالى لايتصرف الا فى ملكه وليس معه مالك سواه وكلما كان ويكون وهو كائن فهو ملك له وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف لكن له الحكم والامر فى كل أفعاله وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضا بقضائه . . (الأصل التاسع) : فى ذكر الآخرة وأنه تعالى خلق العالم من نوعين من شخص وروح وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زاداً لآخرتها من هذا العالم وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد وآخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد واذا وضع الميت فى قبره أعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان ويسألانه من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فان استعجم عذباه وملىء قبره حيات وعقارب ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الى الجسد وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على الخلائق فينظر كل فى كتابه فيرى أعماله ويشاهد أفعاله ويعلم مقدار طاعته ومعصيته وتوزن أعماله فى ميزان الاعمال ثم يؤمر بالجواز على

الصراط والصراط أرق من الشعرة وأحد من الشفرة فكل من كان فى هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط وجازه فى راحة واستراحة وان لم يكن على السيرة المحمودة والأعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لايجد الطريق على الصراط ولا يهتدى إلى الجواز ويقع فى جهنم والكل يقفون على الصراط ويسألون عن أعمالهم فيسأل الصادقون عن صدقهم ويمتحن المنافقون والمراؤون ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون على الرفق والمسامحة وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمحاقة ثم يسحب الكفار إلى نار جهنم بحيث لايجدون خلاصاً ويدخل أهل الاسلام المطيعون الجنة ويؤمر بالعصاة إلى النار فكل من نالته شفاعة الأنبياء والعلماء والاكابر والصالحين والأولياء عفى عنه وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار إثمه وعذب بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ان كان قد سلم معه إيمانه .

(الاصل العاشر) : فى ذكر رسول الله ﷺ فلما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل أفعال الانسان وأحواله واكتسابه وأعماله منها ماهو سبب لسعادته والانسان لايقدر أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكم فضله وقدرته ورحمته وحوله ومنته ملائكة وبعثهم إلى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة فى الأزل وهم الأنبياء عليهم السلام وأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمداً ﷺ أخيراً وجعله بشيراً ونذيراً وأوصل نبوته إلى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الأنبياء ﷺ ..

عن حذيفة بن اليمان أنه قال انا لاأثنى على أحد من الولاة سواء كان صالحاً أوغير صالح لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى بالولاة والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحى الله تعالى الى الصراط أن ينفضهم إلى النار مثل من جار فى الحكم وأخذ رشوة على القضاء وأعار سمعه لأحد الخصمين دون الآخر فيسقطون

من الصراط فيهوون سبعين خريفاً فى النار يصلون إلى قرارها فقد جاء فى الخبر أن داود عليه السلام كان يخرج فى الليل متنكراً بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل من كل أحد يلقاه عن داود سراً فجاءه جبريل عليه السلام يوماً فى صورة رجل فقال له ماتقول فى داود فقال نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال ولا يأكل من كده وتعب يديه فعاد داود إلى محرابه باكياً حزيناً وقال إلهى علمنى صنعة آكل منها فعلمه الله تعالى عمل الزرد .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى زللا يتداركه فكان يقول لو تركت عنزا جرباء على جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسأل عنها .

(حكاية) : أرسل قيصر ملك الروم رسولا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم فقالوا مالنا ملك بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر البلد فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه والعرق يسقط من جبينه الى أن بل الأرض فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه ، وقال رجل تكون جميع الملوك لا يقر لها قرار من هيبته وتكون هذه الحالة حاله ولكنك ياعمر قد عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا وأشهد أن دينكم لدين الحق ولولا أنى أتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا وأسلم . . ولا يحصل مثل هذا المقام للوالى إلا بمقاربة علماء الدين ليعلموه طرق العدل وليسهلوا عليه خطرها ويحذر العلماء السوء الذين يحضونه على الدنيا فانهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعا بما فى يديك من خبيث الحطام ونيل الحرام ليحملوا منه شيئا بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذى لا يطمع فيما عندك من المال وينفعك فى الوعظ والمقال كما يقال إن شقيقا دخل يوما على هارون الرشيد فقال له أنت شقيق الزاهد فقال أنا شقيق ولست بزاهد فقال له أوصنى فقال إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق وأنه يطلب منك مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق

والباطل مثله وأقعدك موضع ذي النورين وانه يطلب منك مثل حيائه وكرمه وأجلسك موضع علي بن أبي طالب وانه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه فقال له زدني فقال له نعم اعلم أن لله تعالى داراً تعرف بجهنم وإنه قد جعلك بواباً لتلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء بيت المال والسوط والسيف وأمرك أن تمنع الخلائق من دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال ومن خالف أمر ربه تعالى فأدبه بالسوط ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف بإذن ولي المقتول فان لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار والمقدم إلى دار البوار فقال زدني فقال إنما مثلك كمثل معين الماء وسائر العلماء في العالم كمثل السواقي فاذا كان المعين صافياً لا يضر كدر السواقي وإذا كان المعين كدراً لا ينفع صفاء السواقي .

خرج هارون الرشيد والعباس ليلا إلى زيارة الفضيل بن عياض فلما وصلا إلى بابه وجداه يتلو هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية فقال هارون إنا كنا قد جئنا لطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس أن يطرق الباب فطرق الباب وقال افتح لأمير المؤمنين فقال الفضيل ما يصنع عندي أمير المؤمنين فطفأ المصباح وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة إن لم تنج من العذاب ثم قال له استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة ويطلب منك انصافك إياه فبكى هارون حتى أغمي عليه فقال له العباس مهلا يا فضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل يا هامان أنت وقومك أهلكتموه وتقول لي مهلا وقد قتلته فقال الرشيد ما جعلك هامان إلا وقد جعلني فرعون ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال هذه من وجه حلال من صداق أمي وميراثها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يدك عن ما فيها وتعود إلى خالقك وأنت تلقيها إلي ولم يقبلها وخرج من عنده

سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي فقال صف لي العدل فقال كل مسلم أصغر منك سناً فكن له أبا ومن كان أكبر منك سناً فكن له ولداً ومن كان مثلك فكن له أخا وعاقب كل مسلم مجرم على قدر جرمه وإياك أن تضرب مسلما

سوط واحدا على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار .

أحضر بعض الزهاد خليفة الوقت بين يديه فقال له عظني فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت الى الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصمم وذهب سمعه فرأيته يوما يبكي ويقول ما أبكي لزوال سمعي وانما أبكي لاجل مظلوم يقف ببابي يستغيث ولا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله إذ بصري سالم وأمر مناديا ينادي ألا من كانت له ظلامة فليلبس ثوبا أحمر وكان يركب الفيل كل يوم فكل من مر ورأى عليه ثوبا أحمر دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصمائه فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الملك الكافر على عباد الله فانظر كيف تكون شفقتك .

كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتفكر يوما وقال قد تنعمت في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الآخرة وأنفذ الى أبي حازم وكان عالم زمانه وأزهد أهل زمانه وقال ابعث لي شيئاً من قوتك الذي تفطر عليه فأنفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطوري فلما رأى سليمان ذلك بكى وأثر الخشوع في قلبه تأثيراً كثيراً فصام ثلاثة أيام طوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه في تلك الليلة تغشى اهله فكان منها عبد العزيز وكان منه عمر بن عبد العزيز وكان اوحد زمانه في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

حضر أبو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظني فقال له من عهد آدم الى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدني فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجيء فقال حسبي بما قلت .

سئل عمر بن عبد العزيز ما كان سبب توبتك فقال كنت أضرب غلاماً لي فقال أذكر الليلة التي يكون صبحها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي .

رأى بعض الاكابر هارون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول أنت أنت وأنا أنا دأبي كل يوم أن أعود إلى عصيانك ودأبك أن تعود علي برحمتك ومغفرتك فقال انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدي جبار السماء .

سأل عمر بن عبد العزيز يوماً أبا حازم الموعظة فقال له أبو حازم ان نمت فضع

الموت تحت رأسك وكلما أحببت أن يأتيك الموت وأنت مصر عليه فلازمه وكلما لا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فربما كان منك قريباً فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينه وأن يقبل المواعظ الذي وعظ بها غيره وكلما رأى عالماً سأله أن يعظه وينبغي أن يعظ الملوك بهذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عامله أبي موسى الاشعري أما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان أشقى الولاة من شقيت به رعيته وإياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضراً فأكلت كثيراً حتى سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لأنها بذلك السمن تذبح وتؤكل .

وفي التوراة كل ظلم علمه السلطان من عماله وسكت عنه كان ذلك الظلم منسوبا إليه وأخذ به وعوقب عليه ، وينبغي للوالي أن يعلم أنه ليس أحد أشد غبنا ممن باع دنياه وآخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لأجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالي ويحسنون الظلم إليه فيلقونه في النار ليصلوا إلى أغراضهم وأي عدو أشد عداوة ممن يسعى في هلاكك لأجل درهم يكسبه ويحصله .

وفي الجملة ينبغي لمن أراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال العمال وينظر فيها كما ينظر في أحوال أهله وأولاده ومنزله ولا يتم ذلك إلا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه فيصير أسير شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه أسيري عقله ودينه وأكثر الخلق في خدمة شهواتهم فانهم يستنبطون الحيل ليصلوا إلى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون أن العقل من جواهر الملائكة وهو من جند الله تعالى وإن الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله تعالى وملائكته أسير جند الشيطان كيف يعدل في غيرهم وأول ما تظهر شمس العدل في الصدر ثم ينتشر نورها في أهل البيت وخواص الملك فيصل شعاعها إلى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب المحال وطمع فيما لا ينال .

واعلم أيها السلطان أن ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل أن ترى الأشياء

كما هي وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا إن كنت تجور على الناس لأجل الدنيا فتنظر أي شيء مقصودك منها فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم أن هذه شهوة بهيمية في صورة آدمي فان الشره إلى الأكل من طباع البهائم وإن كان مقصودك أن تمضي غضبك على أعدائك فأنت أسد في صورة آدمي لأن احضار القلب الغضب من طباع السباع وإن كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة في صورة رجل لأن التزين والرعونة من أعمال النساء وإن كان مقصودك أن يخدمك الناس فأنت جاهل في صورة عاقل لأنك لو كنت عاقلا لعلمت أن الذين يخدمونك إنما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وإن خدمتهم وسجودهم لأنفسهم لا لك وعلامة ذلك أنهم لو سمعوا إرجافا أن الولاية تؤخذ منك وتعطى لغيرك لأعرضوا بأجمعهم عنك وتقربوا إلى ذلك الشخص وفي أي موضع علموا الدرهم فيه سجدوا وخدموا ذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وإنما هي ضحكة والعاقل من نظر أرواح الأشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الأعمال ماذكرناه وأوضحناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومتى لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا كان رأس مال كل السعادات العقل وربما كان الوالي متكبرا ومن ومن الكبر يحصل له السخط الداعي للانتقام والغضب غول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا ذلك في كتاب الغضب من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين واذا كان غالباً فينبغي أن يميل في الأمور الى جانب العفو والصفح ويتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة في سرعة الغضب وشدة الانتقام ماثل الانسان السباع والذئاب .

(حكاية) يقال إن أبا جعفر المنصور أمر بقتل رجل وكان المبارك بن الفضيل حاضراً فقال ياأمير المؤمنين اسمع مني خبراً قبل أن تقتله روى الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد نادى مناد من كان له يد عند الله تعالى فليقم ولا يقوم إلا من عفى عن الناس فقال اطلقوه فقد عفوت عنه .

وأكثر مايكون غضب الولاة على من ذكرهم وطول لسانه عليهم فيسعون في دمه وقال عيسى ليحيى عليهما السلام اذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر

الله جل جلاله وإن كان كذباً فازدد في الشكر فإنه يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح يعني أن حسناته تكتب لك وفي ثوابك .

وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال إن فلاناً رجل قوي شجاع فقال كيف فقال انه يقوي بكل أحد وما صارع أحداً إلا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم القوي الشجاع من قهر غضبه لا من صرع غيره ، وقال عليه الصلاة والسلام «ثلاث من كن فيه فقد كمل إيمانه من كظم غيظه وأنصف في حالتي رضاه وغضبه وعفي عند القدرة » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الطمع

خرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما الي المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا أيديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال ياهذا انا أكثر مما تقول ما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته فان كان لك حاجة أن أذكره ذكرته لك فخجل ذلك الرجل واستحيا فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أن هذا ولد رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم .

ويروي عن زين العابدين رضي الله تعالى عنه أنه استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت ندائي قال بلى قال فلم لا أجبتني قال أمنتك وعرفت طهارة أخلاقك فقال الحمد لله الذي أمن مني عبدي ويروى عنه أيضا أن غلاما كان له فعمد إلى رجل شاة فكسرها فقال له لم فعلت ذلك قال كسرتها عمداً لاغيظك فقال وأنا أغيظ الذي علمك إذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

ويروى عنه أيضا أن رجلا سبه فقال له زين العابدين ياهذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي بما قلت وإن أنا لم أجزها فأنا أكثر مما قلت

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب في جريدة الجائرين ولا ولاية له ولا حكم إلا على أهل منزله وقال عليه الصلاة والسلام لجهنم باب لا يدخله إلا من اتبع غضبه بخلاف الشرع

ويروي أن إبليس تراءى لموسى عليه السلام فقال ياموسى أعلمك ثلاثة أشياء

وتطلب لى من رق حاجة واحدة فقال موسى عليه السلام وما الثلاثة الاشياء فقال ياموسى احذر من الحدة والحرد فان الحرد يكون صاحبه خفيف الرأس وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالاكرة واحذر من النساء فانى مانصبت للخلق شركا اعتمدت عليه مثل النساء. واحذر من البخل فانى أفسد على البخيل دينه ودنياه.

وقال رسول الله ﷺ من كظم غيظه وهو قادر ملأ الله تعالى قلبه بالأمن والايمان وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى.

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال علمنى عملا أدخل به الجنة فقال لا تغضب قال وماذا قال استغفر قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة.

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قسم يوما مالا فقال رجل ماهذه القسمة لله تعالى فحكى ذلك لرسول الله ﷺ فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيئا سوى أن قال رحم الله أخى موسى فانه أوذى وصبر على الأذى وهذا القدر كاف من النصيحة

وفى هذا الزمان عامل يتناول من أموال الناس كذا وكذا ألف دينار فى كل سنة لأجل غيره وتبقى فى ذمته ويطالب بها فى يوم القيامة ويحصل بنفعها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والحساب وهذه نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف العقل

وينبغى للوالى على أمور المسلمين أن يرضى لهم مايرضاه لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.

يروى أن رسول الله ﷺ كان قاعداً يوم بدر فى ظل فهبط عليه جبريل عليه السلام وقال يامحمد أتقعد فى الظل وأصحابك فى الشمس فعوتب بهذا القدر.

ويروى أن عمر بن عبد العزيز قضى حوائج الناس ثم دخل ليستريح فقال له ولده ما الذى يؤمنك أن يأتيك ملك الموت وعلى الباب من له عندك حاجة وهو ينتظرها وأنت مقصر عن حقه فقال صدقت ونهض إلى مجلسه. . وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض الصالحين عن نفسه فقال له هل رأيت فى شيئا تكرهه فقال ياعمر سمعت أنك وضعت على مائدتك رغيفين وإن لك قميصين أحدهما لليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين الاثنين شىء قال لا قال والله لا يكون هذا أبدا

وقال صلى الله عليه وسلم اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعنف على كل

وال يعطف على رعيته .

وسأل هشام بن عبد الملك أبا حازم وكان من العلماء ما التدبير فى النجاة من أمور الخلافة فقال أن تأخذ الدرهم من وجه حلال وتضعه فى موضع حلال فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب فى نعيم الجنان ويرهب من عذاب النيران .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه خير أمتى الذين يحبونكم وتحبونهم وشر أمتى الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم .

ولا ينبغى للوالى أن يغتر بكل من وصل إليه وأثنى عليه وأن لا يعتقد أن جميع الرعية مثله راضون وأن الذى يثنى عليه من خوفه منه بل ينبغى أن يرتب معتمدين يسألون عن أحواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من ألسنة الناس وينبغى للوالى أن لا يطلب رضاء أحد من الناس بمخالفة الشرع بسخط الله تعالى فإن من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه . وكان عمر رضى الله عنه يقول إنى أصبح كل يوم ونصف الخلق على ساخطون ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق أن يسخط ولا يمكن أن يرضى الخصمين وأكثر الناس جهال .

(نكتة) كتب معاوية إلى عائشة رضى الله عنها أن عظيني عظة مختصرة فكتبت إليه تقول من طلب رضا الله تعالى بسخط الخلق رضى الله عنه وأرضا عنه الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله تعالى سخط الله عليه وأسخط عليه الناس

واعلم أيها السلطان أن الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فأول منازله بطن أمه وآخرها اللحد قبره وإنما وطنه وقراره ومستقره واستقراره بعدها فكل سنة تنقضى من عمر الانسان فكالمرحلة وكل شهر ينقضى عنه كاستراحة المسافر فى سفره وكل أسبوع كقرية يلقاها فى طريقه وكل يوم كفرسخ يقطعه وكل نفس كخطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن لم يعبر القنطرة واشتغل بعمارتها فنى فيها زمانه ونسى المنزلة التى إليها مصيره وهى مكانه وكان جاهلا غير عاقل وإنما العاقل الذى لا يشتغل فى دنياه إلا بالاستعداد وجمع الزاد ليوم المعاد ويرتفق منها بقدر حاجته ومهما جمعه فيها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمنى أن تكون خزائنه وسائر ذخائره رمادا وترابا لا فضة ولا

ذهبا. واعلم أيها السلطان أن راحة الدنيا أيام قلائل وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا فناء له ولا نهاية فيسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء.

(نكتة) لو كان للانسان معشوقة وقيل له إن كنت هذه الليلة تزورها فانك لا تعود تراها أبدا وإن صبرت عنها هذه الليلة سلمت إليك ألف ليلة فانه وإن كان حبه لها عظيما وصبره أليما لكن يهون عليه صبره عنها على البعد ليلة لينال قربها ألف ليلة ومدة الدنيا ليست واحداً من ألف من مدة الآخرة بل ليست شيئا في جنب الآخرة ولا نسبة بينها لأن الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك بالوهم طولها وقد أوضحنا حالها في عشرة أمثلة.

(المثل الأول): في بيان سحرها قال ﷺ احذروا من سحر الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وأول سحرها أنها تريك أنها ساكنة عنك مستقرة معك وإذا تأملتها خلتها ساكنة وهي نافرة عنك على الدوام وإنما تنسل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل إذا رأيته حسبته ساكنا وهو يمر دائما فكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تودعك وتهرب منك وأنت غافل وذاهل.

(المثال الثاني) ومن سحرها أنها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك أنها لك مساعدة وأنها لا تنتقل عنك إلى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال حتى إذا عشقوها دعتهم إلى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم

رأى عيسى عليه السلام الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة امرأة عجوز هرمة فقال كم تزوجت بعلا فقالت لا يحصون كثرة فقال ماتوا أو طلقوك قالت بل أنا قتلتهم وأفنيتهم فقال ياعجبا لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون.

(المثال الثالث): ومن سحرها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محنها ومقاتلها في باطنها وتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل لتغش الخلق من بعيد فاذا كشفوا

غطاءها وخمارها وألقوا عنها إزارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من فضائحها وعاينوه من قبائحها . وقد جاء فى الخبر أن الدنيا يؤتى بها يوم القيامة فى صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشية الوجه قد فغرت عن أنيابها وكشرت عن أسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ماهذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التى كنتم عليها تتحاسدون ولأجلها كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها إلى النار فتقول إلهى أين أحبائى فيؤمر بهم فيلقون معها فى النار .

(المثال الرابع) : أن يحسب الانسان كم كان من الأزل قبل أن يوجد فى الدنيا وكم يكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التى بين الأزل والأبد وهى مدة حياته فى الدنيا فيعلم أن مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وأن كل سنة كمنزل وكل شهر كفرسخ وكل يوم ميل وكل نفس خطوة وهو يسير دائما فيبقى لواحد من طريقه فرسخ وللآخر أقل وللآخر أكثر وهو قاعد ذاهل وساكن غافل كأنه مقيم لايبرح وقاطن لايبرح قد اشتغل بتدبير أعمال لايحتاج إليها بعد عشر سنين وربما حصل بعد عشرة أيام فى التراب

(المثال الخامس) : اعلم أن مثل الدنيا ومايحتقب أهلها فيها شهواتهم ولذاتهم من الفضائح التى يشاهدونها فى الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين إلى ان شاء هضمه وماضت معدته فرأى فضيحته من هلاك معدته ونتونة نفسه وكثرة برازه وحاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته وكذلك كلما ألف الانسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب ويتبين له ذلك عند نزعه وخروج روحه لأن كل من كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار وغلمان كان ألم روحه عليه أصعب من ألم من ليس له إلا القليل فان ذلك الألم والعذاب لايزول بالموت بل يزيد بالموت لأن تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لايموت .

(المثال السادس) : اعلم أيها السلطان أن أمور الدنيا أول ماتبدو يظنها الانسان قريبة مختصرة ويخال أن شغلها لايطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه مائة أمر وينفق فيه بضاعة العمر . قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا

كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا زاد عطشا فلا يزال يشرب إلى أن يهلك ولا يروى . قال النبي ﷺ لا يمكن من خاض البحر أن لا يبتله البلل كذلك لا يمكن من دخل في أمور الدنيا أن لا يتدنس

(المثال السابع) : مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعى إلى مائدة وعادة المضيف أن يزين للأضياف داره ويدعو إليها قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج ويضع بين يدي أضيافه طبقا من ذهب مملوء بالجواهر ومجمرة من فضة فيها من عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا ويبالهم طيب رائحتها ثم يغادرون الطبق والمجمرة بحالها لمالكها ليدعو غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور على النار وتطيب وانطلق ولم يطمع في أن يتناول المجمرة والطبق وتركهما بطيبة من نفسه وشكر لصاحب البيت وربه وانصرف راشداً ومن كان أحمق ابلها توهم أن ذلك الطبق والمجمرة قد أعدا له وانهم يريدون أن يهبوهما له فلما هم بالخروج من الدار أخذ الطبق والمجمرة فاستعاد وهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة من ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة ليتزودوا منها لطريقهم ولا يطمعوا فيها في الدار

(المثال الثامن) : ومثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا إلى جزيرة لأجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا إلى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لا يفوت الوقت فلا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فإن المركب سائر فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا إلى المركب فأصابوا الأماكن خالية فجلسوا في أظهر الأماكن وأوفقها وأطيب المواضع وأرفقها ومنهم قوم نظروا إلى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها وأثمارها وروضاتها وأشجارها ويسمعون طيب ترنم أطيارها ويتعجبون من حصبائها الملونة وأحجارها فلما عادوا إلى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا في أضيق المواضع وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصا الملونة ثم حملوا معهم إلى المركب فلم يجدوا مكانا وقعدوا في أضيق المواضع وحملوا ما استصحبوه من الأحجار على أعناقهم فلم يمض إلا يوم واحد حتى تغيرت

ألوان تلك الأحجار واسودت وفاح منها أكره رائحة ولم يجدوا مخلصا من الزحام ليلقوا ثقلها عن أعناقهم فندموا على ما فعلوا وحصل ثقل الأحجار على أعناقهم إذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتحيروا فى الرجوع ولم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا فى مكانهم وتخلفوا إذ لم يصغوا إلى المنادى ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من أكلته السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار المشركون الذين نسوا الله تعالى ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم إلى الدنيا وركنوا إليها كما قال عز من قائل (الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة واطمأنوا بها) .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة تريد أن أريك الدنيا قلت نعم فأخذ بيدي وانطلق حتى وقف بي على مزبلة فيها رءوس الآدميين ملقاة وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات فقال يا أبا هريرة هذه رءوس الناس التي تراها كانت مثل رءوسكم مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من طول الأعمار ما ترجون وكانوا يجدون فى عمارة الدنيا وجمع المال كما تجدون فاليوم قد نخرت عظامهم وتلاشت أجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت أثوابهم التي كانوا يتزينون بها عند التجمل ووقت الرعونة فاليوم قد ألقتها الرياح فى النجاسات وهذه عظام دوابهم التى كانوا يطوفون عليها أقطار الأرض وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التى كانوا يحتالون فى تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها عنهم بهذه الفضيحة التى لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وترى فمن أراد أن يبك على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء .

وروى أنه كان فى زمن عيسى عليه السلام ثلاثة سائرين فى طريق فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا ويبتاع لنا طعاما فمضى أحدهم ليأتيهم بطعام فقال الصواب أن أجعل لهما فى الطعام سما قاتلا ليأكلا منه فيموتا وأنفرد بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام فاتفق الرجلان الآخران أنهما إذا وصل إليهما بالطعام قتلاه

وينفردا بالكنز دونه فلما وصل إليهما قتلاه وأكلا من الطعام فماتا فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك الموضع ومعه الحواريون فقال لهم هذه الدنيا فانظروا كيف صنعت بهؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم فويل لطلاب الدنيا من الدنيا.

(حكاية) : روى وهب بن منبه أن ملكا عظيما أراد أن يركب يوما في جماعته وأهل مملكته ويرى الخلق عجائب زينته وأمرائه وأسفهلاريته بالركوب ليظهر للناس سلطنته فلبس فاخر الثياب وركب فرسا مشهوراً بالسبق وركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض بالحصان في عسكره ويفتخر بهيئته وتجبره فجاءه ابليس لعنه الله فنفخ في أنف أنفته فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء ويزهو بالخيلاء ولا ينظر إلى أحد من تيهه وعجبه وكبره وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض على عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد أمسكت فقال لي إليك حاجة فقال اصبر حتى أنزل فقال حاجتي هذه الساعة إليك لا عند نزولك قال أذكر حاجتك فقال إنها سر ولا أقولها إلا في أذنك فأصغى بسمعه إليه فقال أنا ملك الموت أريد قبض روحك فقال امهلني ساعة بقدر ما أعود إلى بيتي وأولادي وجيراني وزوجتي فقال كلا لا تعود تراهم فانك قد فنيت مدة عمرك وأخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتا وعاد ملك الموت من هناك فأتى رجلا صالحا قد رضي الله عنه فسلم عليه فرد عليه السلام فقال لي إليك حاجة وهي سر فقال الصالح أذكر حاجتك في أذني فقال أنا ملك الموت فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت كثير الترقب لوصولك ولقد طالت علي غيبتك وكنت مشتاقا إلى قدومك فقال له ملك الموت إن كان لك شغل فاقضه فقال ليس لي شغل أهم عندي من لقاء ربي عز وجل فقال كيف تحب أن أقبض روحك فاني أمرت أن أقبض روحك كيف آثرت واخترت فقال دعني أتوضأ وأصلي ركعتين فاذا أنا سجدت فاقبض روحي وأنا ساجد ففعل ملك الموت ما أمر به ونقله الله تعالى إلى رحمته.

(حكاية) يروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه فجمع نعما

طائلة وبنى قصراً عالياً وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والحراس والأجناد وأمر فى بعض الأيام أن يصنع له طعام من أطيب الطعام فجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدامه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قدجمعت نعم الدنيا بأسرها فالآن فرغى بالك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة ومخلاته فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فطرق حلقة القصر طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا ياضعيف ماهذا الحرص وسوء الأدب اصبر حتى نأكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج الى فلى اليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا تنح أيها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم قولوا له ماذكرت فلما عرفوه قال هلا زجرتموه ونهرتموه ثم طرق الباب أعظم من الطرقة الأولى فنهضوا اليه من أماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال ألزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا منى وعوضاً عنى فقال ما آخذ الا أنت ولاأتيت الا لأجلك لافرق بينك وبين النعم التى جمعتها والأموال التى حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذى غرنى وضرنى وبلانى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لأعدائى فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأى سبب تلعننى فان الله تعالى خلقنى وإياك من تراب وجعلنى فى يدك لتتزود بى لآخرتك وتتصدق على الفقراء وتحسن على الضعفاء ولتعمر بى الرباط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عوناً لك فى اليوم الآخر وأنت جمعتنى ومنعتنى وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لأعدائك وأنت بحسرتك وندامتك فأى ذنب لى حتى تسبنى وتلعننى ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فخر عن سريره صريع الحمام .

يروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لايملكون شيئاً من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على أبواب دورهم وهم يتعهدونها ويكنسونها وينظفونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام سوى نبات الأرض فبعث إليهم ذو القرنين رجلا يستدعى

مالكهم فلم يجبه وقال مالي اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال كيف حالكم فاني لا أرى لكم شيئا من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدنيا فقال نعم لان نعم الدنيا لايشبع منها أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال لأي معنى تأكلون الحشيش فقال لانا نكره أن نجعل بطوننا قبورا للحيوان ولأن لذة الطعام والشراب لاتجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فأخرج منها قحف رأس آدمي فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين تعلم من كان هذا فقال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال أتعرف هذا فقال لا قال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ثم انه وضع يده على رأس ذي القرنين وقال ترى أي هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وضمه الى صدره وقال له ان رغبت في صحبتي فاني أسلم اليك وزارتي وأقاسمك مملكتي فقال مالي في ذلك رغبة فقال لم فقال لان جميع الناس أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميع الناس أصدقائي بسبب القناعة والصعلكة

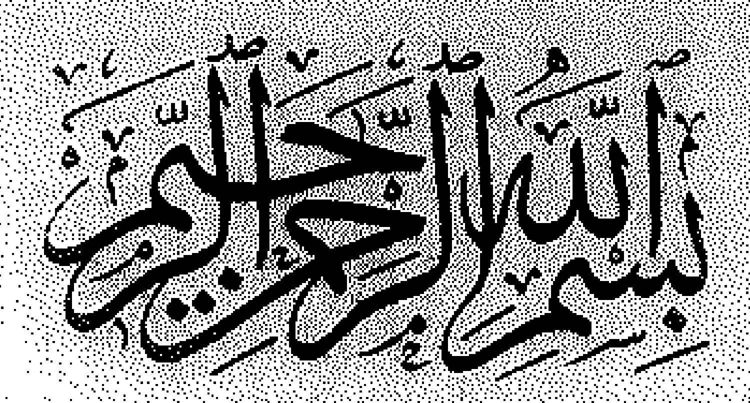
وقد ورد في الخبر أن من أكثر من ذكر الموت كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسي الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر النار

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم» وقال صلى الله عليه وسلم «أكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويبرد حب الدنيا في القلوب»

سئل عليه الصلاة والسلام من أحزم الناس وأعقلهم فقال أعقل الناس من كان أكثرهم للموت ذكرا وأحزمهم أحسنهم للموت استعدادا

فاشعر قلبك أيها الملك خوف ملك الملوك ومن أنت وكل ملك ومملوك في قبضة يده وتحت تصرفه ولا يخفى عليه خافية من جليل حالك ودقيقه واجعل الموت أبدا منك على بال فان الأجل وإن طال قصير والخطب في العرض والحساب كبير والله خليفتي عليك والسلام ؟

﴿ تمت رسالة الغزالي إلى ملكشاه ويليها كتاب التجريد في كلمة التوحيد ﴾



[قال الشيخ الأجل جمال الاسلام أحمد بن محمد بن محمد الغزالى رحمة الله عليه فى الحديث الصحيح والنقل الوارد الصحيح عن سيد البشر محمد المصطفى ﷺ قال ذلك خبراً عن الله تعالى لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى

قال الشيخ الامام رحمة الله عليه كلمة لا إله إلا الله هى الحصن الاكبر وهى علم التوحيد من تحصن بحصنها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد ومن تخلف عن التحصن بها فقد حصل شقاوة الأبد وعذاب السرمد ومهما لم تكن هذه الكلمة حصناً دائراً على دائرة قلبك وروحها نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارسا يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول إلى تلك النقطة فأنت خارج الحصن ومجرد قولك لا يزن مثقال ذرة ولا يعدل جناح بعوضة فانظر ماهو نصيبك من هذه الكلمة فان كان نصيبك روحها ومعناها (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وهو نصيب سيد الخلائق محمد ﷺ ومائة ألف نبى ونيف وعشرين ألف نبى فقد حزت ذخر الكونين وفزت بسعادة الدارين وكتبت فى جريدة الأولياء وزمرة عالم الفضل (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين : ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وإن كان نصيبك مجرد لقلقة اللسان (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) فهو نصيب رأس المنافقين عبدالله بن أبى بن كعب بن سلول ومائة ألف منافق (إذا جاءك المنافقون) الآية فقد صرت شيئاً خسر الدنيا والآخرة وذلك الخسران المبين وكتبت فى جريدة الاعداء فى جملة عالم العدل (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) لا إله إلا الله حصن ولكن

نصبوا عليه منجنيق التكذيب ورموه بحجارة التخريب وتظاهروا على هدمه بمعاول الشقاء والنفاق فدخل عليهم العدو فطمس معالمه ودرس مراسمه وشوش مسكن الملك ومحل نظره وسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة (إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم) سلبوا معنى لا إله إلا الله فبق معهم لقلقة اللسان وقعقعة الحروف وهو ذكر الحصن لا معنى الحصن وكما أن ذكر النار لا يحرق وذكر الماء لا يغرق وذكر الخبز لا يشبع وذكر السيف لا يقطع فكذلك ذكر الحصن لا يمنع

(فصل) : هذا الحديث يجيء بالقيل والقال ما احترق لسان أحد قط بقوله نار ولا استغنى أحد بقوله ألف دينار ، القول قشر والمعنى لب ، القول صدف والمعنى در ، فماذا تصنع بالقشر مع فقدان اللب ؟ وماذا تصنع بالصدف مع فقدان الجوهر ؟ هذه الكلمة مع معناها بمنزلة الروح مع الجسد وكما لا ينتفع بالجسد دون الروح فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة بدون معناها فعالم الفضل أخذوا هذه الكلمة بصورتها ومعناها فزينوا بصورتها ظواهرهم وزينوا بمعناها بواطنهم فحصل لهم بها خير الدنيا والآخرة وبرز لهم شهادة القدم بالتصديق (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) وعالم العدل أخذوا هذه الكلمة بصورتها دون معناها فزينوا ظواهرهم بالقول وبواطنهم بالكفر وقلوبهم مسودة مظلمة فحصنوا بها أعراضهم وحصلوا بها أغراضهم وغدا تأتيهم ريح من صوب القدرة تطفيء ذلك النور فيبقون فى ظلمة كفرهم (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) وبرز لهم شهادة القدم عليهم بالتكذيب (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) .

(فصل) : أترى إذا قلت لا إله إلا الله وأنت عابد هواك ودرهمك ودينارك ودنياك ماذا يكون جوابك ؟ كذبت يا عبدي لم تقول ما لم يكن لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله وأنت عابد هواك (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وأنت عابد دينارك ودرهمك تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش مادمت تقول لا إله إلا الله وأنت تسكن إلى أهل ووطن وتركن إلى أهل ومال ومسكن فلست بقائل كل قول كذبه الفعل فهو مردود ولسان الحال أفصح من لسان المقال إن كان قولك لا إله إلا الله يثمر معنى فى القلب فلم تعود

بفلان وتلوذ بفلان وترجو فلانا وتخاف فلانا مادمت تقول لا إله إلا الله وتأنس بغيرنا فلسنا لك ولست لنا من كان لله كان الله لهو كانوا لنا خاشعين وكنا لهم حافظين كانوا لنا وكنا لهم. ياعبدى لم تلوذ بغيرى وأزمة الأمور كلها بيدى أنا مالك الملك أتصرف فى ملكى بحق ملكى لايكون فى هذا العالم إلا ما أشاء ولا يقع فى الكون إلاما أريد فلا تلذ بسواى ولا تقنط من رحمتى فانه لا يقنط من رحمتى إلا كافر ولا يأمن مكري إلا خاسر (انه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون : ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون).

(فصل) : إذا قلت لا إله إلا الله إن كان مسكنها منك اللسان لاثمرة لها فى القلب فأنت منافق وإن كان مسكنها منك القلب فأنت مؤمن وإن كان مسكنها منك الروح فأنت عاشق وإن كان مسكنها منك السر فأنت مكاشف فالايمان الأول إيمان العوام والثانى إيمان الخواص والثالث إيمان خواص الخواص فالأول ثمرة خبر صدق بجرد والثانى ثمرة بصيرة وانشراح صدر والثالث ثمرة مكاشفة ومشاهدة وإياك أن تكون مؤمنا بلسانك دون قلبك فتنادى عليك هذه الكلمة فى عرصات القيامة إلهى صحبته كذا وكذا سنة فما اعترف بحقى ولا رأى حرمتى فان هذه الكلمة تشهد لك أو عليك فان كنت من عالم الفضل شهدت لك وإن كنت من عالم العدل شهدت عليك فعالم الفضل تشهد لهم بالاحترام حتى تدخلهم الجنة وعالم العدل تشهد عليهم بالاجرام حتى تدخلهم النار (فريق فى الجنة وفريق فى السعير).

(فصل) : هذه الكلمة أولها كفر وآخرها ايمان فعالم العدل وقفوا مع لا إله فوقعوا فى الكفر فقيل لهم لا تقيموا فى هذا المنزل الأول واعبروا إلى المنزل الثاني (ياأيها الذين آمنوا آمنوا) وعالم الفضل عبروا فى المنزل الثانى في منزل الا الله فقيل والمؤمنون (كل آمن بالله) فشتان مابينهما.

(فصل) : أول من وقع من عالم العدل في كفر لا إله طريد الملائكة المملكة ابليس اللعين وأول من دخل من عالم الفضل فى ايمان الا الله صفوة الحضرة آدم عليه السلام فجعل ابليس اللعين رأس جريدة عالم العدل وجعل آدم عليه السلام رأس جريدة عالم الفضل فانظر هل وقفت فى كفر لا إله فالتحقت بابليس أو عبرت إلى ايمان إلا الله

فالتحقت بآدم عليه السلام احذر أن تلتحق بابليس فتلحق بغير أبيك فتقطع نسبة الآدمية وتصل بنسبة الشيطانية وتنادى على نفسك المشاركة فيك (وشاركهم فى الأموال والأولاد) ان عاملك بعدله ألحقك بابليس رأس جريدة عالم العدل وإن عاملك بفضله ألحقك بآدم رأس جريدة عالم الفضل فلا إله مرتبطة بالا الله والكلمة الواحدة لاتنفصل عنها لا إله سم وإلا الله ترياق فكما أن من شرب السم صرفا ولم يشرب معه ترياقا يهلك فكذلك من شرب سم لا إله ولم يشرب معه ترياق إلا الله فانه يهلك وأما من شرب الترياق على السم فهو يملك وشتان بين الهالك والمالك

(فصل) : مالم تتصل حدود لا إله بحدود إلا الله فأنت فى خرابة من خربات الحصن لا إله بعض الحصن وبعض الحصن لايكون حصنا قال لا إله إلا الله حتى وما قال لا إله فحسب فالكلمة بأسرها هى الحصن لاجزء منها فاذا اتصلت حدود لا إله بحدود إلا الله فقد تم الحصن وكمل بأجزائه وأركانه فان كل حصن فلا بدله من أربعة أركان وقولك لا إله إلا الله أربع كلمات كل كلمة منها ركن فمهما لم تتصل الحدود فالحصن لم يتم بأركانه وكما أن له أربعة أركان من جهة الصورة فله أربعة أركان من جهة المعنى وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج وهى الخامسة بنى الاسلام على خمس .

(فصل) : واعلم أن هذا الحصن متحصن فى مدينة انسانيتك فى ولاية القلب وكل من فى هذه المدينة من سمع وبصر ويد ورجل رعايا له وخدم فهم مسخرون له بالقهر والقسر مستخدمون له تحت الأمر والنهى خلقوا على موافقته وجبلوا على ترك مخالفته فان أمر العين بالنظر نظرت وإن أمر السمع بالاستماع سمعت وإن أمر اليد بالبطش بطشت وإن أمر الرجل بالمشى مشت وان أمرها بضد ذلك فعلت فهم طائعون لأمره متجنبون لمواطن زجره فان كان قاسط فى ملكه استعمل هذه الجوارح فى العبث والفساد والمخالفة والعناد فيأمر العين فلا تنظر إلا المحرمات ويأمر السمع فلا يسمع إلا المحرمات ويأمر اليد فلا تبطش ولا تتناول إلا المحرمات وكذا الرجل لاتمشى إلا إلى المحرمات فهم لاينظرون إلى الحق ولا يسمعون (صم بكم عمى فهم لايعقلون لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك

كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) وإن كان مقسطا في مملكته استعمل هذه الجوارح في الطاعة والعبادة فيأمر العين فلا تنظر إلا بالأمر ويأمر الأذن فلا تسمع إلا بالأمر ويأمر اليدين والرجلين كذلك سائر الجوارح فتظهر البركة والطهارة وإليه الاشارة بقوله أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد — الخبر

(فصل) : هذه الكلمة حصن بابه ومجازه وبوابه مالم تقضي حق البواب لا تدخل الى داخل حصن مالم تخرج من عهدة لا لاتصل الى اثبات إلا وفي الحقيقة لست بناف ولا بمثبت اذ المنفي لاينفي والثابت لايثبت فان المنفي منفي والثابت ثابت وانما كلمة لا إله إلا الله أربع كلمات حاصل كلها كلمة واحدة وهي اثنا عشر حرفاً حاصل كلها أربعة أحرف فالاربعة هي الكلمة والكلمة هي الأربعة وهي تركيب قولك الله اثبات محض وتوحيد صرف من غير نفي ولا جحد ولا اله نفي محض لأن الشيء لاينفي حتي يتصور له ثبوت ووجود وحرف لا ما جاء لنفي شيء حتى يتصور له حقيقة ثبوت ووجود ومن توهم ذلك فهو مشرك فان الحق سبحانه وتعالى منزه في أزل آزاله وأبد آباده عن الشرك والشبيه والضد والند وانما جاءت كلمة لا إله إلا الله مكنسة تكنس غبار الاغيار عن وجوه الأسرار لتصلح أن تكون عرشاً لتجلي الله عليها ومحلا لنظر الحق اليها كما قال الله تعالى لداود عليه السلام (ياداود طهر لي بيتا أسكنه لم تسعني أرضي ولاسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي)

(فصل) : مادمت ملوثا بالنظر الى ماسواه فلابد لك من نفي لا إله مادمت تعتمد على رياسة العلم والجاه فلا بد لك من نفي لا اله ومادمت ترى في الوجود سواه فلا بد لك من نفي لا اله فاذا غبت عن الكل في مشاهدة صاحب الكل استرحت من نفي لا ووصلت باثبات الا (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) متى تتخلص من ذكر مالم يكن وتشتغل بذكر من لم يزل تقول الله يا الله فتستريح عما سوى الله

(فصل) : كلمة الله أربعة أحرف حاصلها ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء فالالف اشارة الى قيام الحق بذاته وانفراده عن مصنوعاته فان الألف لاتعلق له بغيره والحق تعالى أيضا لاتعلق له بغيره واللام اشارة الى أنه مالك جميع المخلوقات والهاء هادى من في السموات والارض (الله نور السموات والارض) وان شئت أن تقول

قل الالف اشارة الى تألف الحق بالخلق باسباغ النعم فى الرزق واللام اشارة الى لوم الخلق بالاعراض عن الحق والهاء اشارة إلى هيمان أوليائه فى المحبة والعشق .

ألف التآلف للخلائق كلهم   واللام لام اللوم للمطرود

والهاء هاء متيم فى حبه   مستهتر بالواحد المعبود

(فصل) : افتح بصر بصيرتك فانه ليس فى الوجود شىء إلا هو يقول لا إله إلا الله (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) الآية (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض) يدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه .

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه واحد

(فصل) : أتظن أن شمس التوحيد إنما طلعت عليك فقط كلا وحاشا (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) ولكن خصصتم بالتكليف تكريماً وتعظيماً وتفضيلا لكم على غيركم لاحاجة إليكم فتكريمكم منا وتفضيلكم بنا (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) الآية .

(فصل) : أوجدناكم من كتم العدم إلى فضاء الوجود وأمرناكم بالعبودية والتوحيد لحاجة إليكم أونعت الألهية مفتقر إلى وجودكم أوصفة الوحدانية متوقفة على شهادتكم كلا وحاشا صفة الألهية والوحدانية لاتتوقف على شهادة شاهد ولا تستتر بمعاندة جاحد ولكن قصرت أبصار الخفافيش عن إدراك الشمس بعد أن علموا بوجود ذاتها فان الخفافيش إذا طلعت عليهم الشمس يقولون ناموا فقد جن الليل علموا بوجودها وعموا عن إدراكها فالقصور فى أبصار الخفافيش لا فى أنوار الشمس أنا الواحد الأحد فى الأزل والأبد شهدتم أوجحدتم شئتم أوأبيتم فان شهدتم فذلك نصيبكم من نعت القدم وإن جحدتم فوجود القدم لايتوقف على وجود الحدوث بل وجود الحدوث موقوف على وجود القدم ووجود المحدث يفتقر إلى وجود القديم (أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) .

(فصل) : ان كنت فقيراً فلا تأتنا اتيان الأغنياء وان كنت ذليلا فلا تأتنا اتيان الأعزاء وإن كنت منكسراً فلا تأتنا اتيان الأقوياء وإن جئت فقيراً فالفقراء الصابرون جلساء الله وإن جئت ذليلا منكسراً فقد قلت أنا عند المنكسرة قلوبهم وان

جئت ذاكراً فقد قلت أنا جليس من ذكرني (فاذكروني أذكركم) وإن جئت محباً فقد قلت يحبهم ويحبونه وإن جئت متقرباً فقد قلت من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة - الخبر ، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش الخبر ، وإن جعت يوما أو مرضت أعاتب المقصر فى حقك فأقول مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني فيقول كيف تجوع وأنت رب العزة فأقول مرض عبد من عبيدي فوعزتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده أخلع رداء كبريائي وعظمتي وارتد برداء فضلي ورحمتي .

(فصل): اجعل رأس مال بضاعتك التوحيد وملاذ أمرك التجريد واجعل غناك افتقارك ، وعزك انكسارك ، وذكرك شعارك ، ومحبتك دثارك ، وتقواك ازارك ، فإن كنت مفتقراً إلى زاد وراحلة وخفير فاجعل زادك الافتقار ومطيتك الانكسار وخفيرك الاذكار وأنيسك المحبة ومقصد سفرك القربة فإن ربحت فى هذه البضاعة فقد ربحت كل شيء وإن خسرت فيها فقد خسرت كل شيء أترى أنت مشتر أم بائع فإن كنت مشترياً (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فأنت خاسر وان كنت بائعاً (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية فأنت رابح أولئك كانت معاملتهم مع الخلق وهؤلاء كانت معاملتهم مع الحق فمعامل الخلق خاسر ومعامل الحق رابح أولئك ينادى عليهم (فما ربحت تجارتهم) وهؤلاء يقال لهم (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فشتان ما بينهما أترى من أى الحزبين أنت أمن حزب أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أم من حزب (إن الله اشترى) ؟ ان أحببت أن تعلم من أي الحزبين أنت فانظر عند ذكرك فى محل قوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فان وجل له قلبك وخشعت جوارحك (تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) فاعلم أنك من حزب أن الله اشترى وان لم يخشع قلبك ولم تخضع له جوارحك وكان قولك لا اله الا الله كقولك الحائط والجدار فاعلم أنك من حزب (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى : فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) .

(فصل) : من لم يكن له نصيب من قوله انما المؤمنون أى شيء يكون نصيبه اذا

قلت الله أو قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب هل يكون لك فيه نصيب كلا وكلا فإن من خلا قلبه عن نصيب إنما المؤمنون فأى فرق بينه وبين عابد الصنم والصليب وأي فرق بينه وبين الصخرة والحجر (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) بالله إذا كان هذا قلب المؤمن فكيف يكون قلب الكافر إذا كان هذا قلب الموحد فكيف يكون قلب الجاحد إذا كان هذا قلب الذاكر فكيف يكون قلب الغافل ؟ أولئك هم الغافلون.

(فصل): متى تنتبه من سنة غفلتك وتصحو من خمار سكرتك فتفهم ما تذكر وتعلم ما تقول أمرت بالفهم ثم بالذكر وأمرت بالعلم ثم بالقول فما لم تعلم لا تقل وما لم تفهم لا تذكر إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب غائب الفهم ساهي السر فلست بذاكر (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) إذا ذكرته فلتكن كلك قلبا وإذا نطقت به فلتكن كلك لسانا وإذا سمعت فلتكن كلك سمعا وإلا فأنت تضرب في حديد بارد .

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني وغفلتي عنك أحزان وأوجاع
فصار كلي قلوبا فيك واعية للسقم فيها وللآلام اسراع

(فصل) : ان سلط سلطان لا إله إلا الله على مدينة انسانيتك لم يبق فى دائرة دارك ديار ولم يسلكها أحد من الأغيار ولم يبق لك معه قرار ولا تبق ولا تذر (ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فيصير عز كبرك مذلة وتواضعا وعز كثرتك قلة وعز وجودك محوا وعز بقائك فناء وتتبدل كل صفة مذمومة بصفة محمودة وتنقل من عز هو ذل إلى ذل هو عز ويقطع منها شجر صفاتك المذمومة ويزول عنها عوسج الكفر والتعطيل ويذهب منها شوك التشبيه والتمثيل ويغرس فيها ريحان الايمان والتوحيد وينبت فيها تشريف التنزيه والتفريد وتتنوع صفاتك المحمودة (والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا) .

(فصل) : كل سلطان لولايته أمد معدود وحد محدود الا سلطان لا إله إلا الله فان ولايته ثابتة أبد الأبد باقية مدى السرمد شملت الأولين والآخرين طائعين

وكارهين وعمت أهل السموات والارضين (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) ولكن أتى عبد طوعا وشوقاً ومحبة وعبد أتى كرها وسوقا وقهرا وقسراً (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الى قوله تعالى (قالوا بلى) فعالم الفضل قالوا بلى طوعا وعالم العدل قالوا بلى كرها أخرجهم من ظهر آدم على هيئة الذر ثم فرقهم فرقتين وجعلهم عالمين فعالم الفضل عن يمينه وعالم العدل عن شماله ثم خلق لهم آلة الفهم والسمع والنطق ثم خاطبهم وأشهدهم على أنفسهم الآية فأقر الكل بالوحدانية وأذعنوا بالفردانية فقالوا بلى فعالم الفضل قالوا بلى طائعين مسارعين وعالم العدل قالوا بلى كارهين متثاقلين ثم أخذت شهادة كل واحد منهم بما شهد على نفسه أن لا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فلما خرجوا من عالم القدرة الى عالم الحكمة ظهر من كل واحد منهم ما كان يضمره من توحيد وجحود فعالم الفضل قالوا بلى مع اعتقاد الصدق فوفوا بعهده وحافظوا على ميثاقه وعالم العدل قالوا بلى اعتقاد الجحود فخانوا العهد وضيعوا الميثاق فبرز نعت القدم لعالم الفضل بالمدح لهم والثناء عليهم فقال (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وبرز لعالم العدل بالقدح فيهم والازراء عليهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) ثم فى عرصات القيامة اذا بسط الصعيد يظهر سلطان بلى على كل العالمين فيشهد لعالم الفضل بالامانة ويشهد على عالم العدل بالخيانة ثم يحشر لكل واحد كتاب اقراره وشهادته على نفسه (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

(فصل): أشهدك على نفسك لعلمه بنسيانك (أحصاه الله ونسوه) أشهدك على نفسك لعلمه بأنك ظلوم جهول (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) أشهدك على نفسك حتى لا يقبل انكارك بعد اقرارك ولما أشهدهم على أنفسهم وأخذ على كل العالمين العهد والميثاق اشترى من عالم الفضل أنفسهم علما منه بأنهم يضعفون عن مجاهدتها ومكابدتها فقال سبحانه وتعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية

(فصل) : وانما قال اشترى أنفسهم ولم يشتر قلوبهم لأن القلب لما كان لا يستعبده

شيء من المخلوقات ولا يسترقه شيء من الموجودات لانه لا يأنس الا بالحق ولا يطمئن الا بذكره خلص عن رق الأغيار فصار بمنزلة الحر والحر لا يباع ولا يشترى والنفس لما كانت تسكن الى الشهوات وتركن الى اللذات وتستعبدها كل شهوة وتسترقها كل لذة صارت بمنزلة العبد والعبد يباع ويشترى ويجوز عليه البيع والشراء هذا رشح من اناء ظاهر الشرع ومزاج من العلم الظاهر لان الكلام يجرى على قدر نقد الوقت ان صفوت صفى لك وان مزجت مزج لك جواب

جواب آخر انما كان الشرى للنفس دون القلب لان القلب مشتغل بالحق دون الخلق والنفس مشتغلة بالخلق دون الحق فاشترى النفس لشغلها بالخلق عن الحق وان شئت قلت لان النفس جبلت على صفات مذمومة وخصال سيئة وهي محل الآفة ومواطن المخالفة والقلب جبل على صفات محمودة وخصال حسنة وهو موطن الطاعة والعبادة فاشترى النفس دون القلب لتنقلها من الصفات المذمومة الى الصفات المحمودة ومن صفاتها الى صفات القلب

(فصل): ولما وضعت النفس في كفة البيع والشرى وجري عليها التسلم والتسليم فسلمها الحق سبحانه وتعالى الى الملك وألهمها قبول مايلقى اليها من الخير فالملك أبدا يدعوها اليه ويرغبها فيه ويحذرها من الشر ويرغبها عنه الى أن تأنس به وتسكن اليه وتنقاد له فاذا سكنت اليه وانقادت له سلب عنها كل صفة مذمومة ويودع فيها كل صفة محمودة فتخرج من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة كل صفة مذمومه الى نور كل صفة محمودة فاذا خرجت عن ظلمة أوصافها ورجعت عن معاندتها وخلافها وانقادت للأمر ورضيت به وسكنت له واطمأنت اليه حينئذ يدخلها في زمرة عباده فقال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وأما عالم العدل فافقروا في عالم القدرة وجحدوا في عالم الحكمة فلم يصلح أن تكون أنفسهم محلا لشرائه فأبعدها عن حفظه وكلائه فسلمها الى الشيطان وألهمها قبول مايلقى اليها من الشر فهو أبداً يأمرها بالفواحش ويغريها بالخبائث ويدعوها الى ما عجن في طينتها وجبل في أصل خلقتها من الانغماس في الشهوات والتهافت على المعاصي والمخالفات حتى تصير شيطاناً مارداً لما يأمرها به مساعداً فتصير ناهية

عن الخير أمارة بالسوء (إن النفس لأمارة بالسوء) الآية وهى من أقوى أعوانه وأوفى أقرانه (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو قرين)

(فصل) : عالم الفضل أشهدهم على أنفسهم وألهمهم التوحيد والتقوى وعالم العدل أشهدهم على أنفسهم وألهمهم الفجور والمعصية (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) عالم الفضل عاملهم وعالم العدل أهملهم عالم الفضل عاملهم بفضله فهداهم وعالم العدل أهملهم بعدله فأقصاهم.

(فصل) : ليس الخوف من سوء العاقبة وإنما الخوف من سوء السابقة إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فضلا فمن أصابه من ذلك النور اهتدي ومن أخطأه ضل خلق الخلق عدلا ورش عليهم من نوره فضلا فمن أصابه من ذلك النور كان من عالم الفضل ومن أخطأه كان من عالم العدل وليس ذلك النور عبارة عن شعاع ينبسط على صورهم وأشباحهم وإنما هو عبارة عن نور ينبسط على قلوبهم وأرواحهم وهو عبارة عن نور الهداية (الله نور السموات والأرض مثل نوره : فى قلوب المؤمنين : كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى) فالمشكاة بمنزلة بشريتك والمصباح بمنزلة نور توحيدك والزجاجة بمنزلة قلبك وتشبيه المشكاة بالبشرية لمافى البشرية من الكثافة فهو محل ظلمة وسواد والمصباح كلما كان فى الظلمة والسواد كان أشد فى الاشتعال والايقاد وتشبيه نور التوحيد بنور المصباح ليستضىء به ما يجاوره ويحل فيه وتشبيه القلب بالزجاجة لما فيها من اللطافة فان الزجاجة شفافة تطرح أشعة الأنوار على مايقابلها ويحاذيها من الأجرام والقلب شفاف تعبر منه أشعة أنوار التوحيد إلى ماوراءه من الجوارح وإليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «لوخشع قلبه لخشعت جوارحه» وتشبيه الزجاجة بالكوكب الدرى إشارة إلي أشراقها واستنارتها والدري منسوب إلى الدر وهو مبالغة فى استنارته وصفاء جوهريته (توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) وذلك أكثر ايقاداً وأصفى لدهنها وكذلك شجر التوحيد لاشرقية ولاغربية ولامعطلية ولا وثنية ولا دهرية ولاثنوية ولايهودية ولانصرانية ولا مشبهية ولا معتزلية ولاقدرية ولاجبرية بل محمدية علوية وكما أن تلك الشجرة لاشرقية ولا غربية كذلك شجر التوحيد لاسماوية ولا أرضية ولا

عرشية ولا فرشية ولا فوقية تحتية ولا علوية ولا سفلية انفصلت عن الخلق وطارت فى طلب الحق فهى عن الخلق منفصلة وبالحق متصلة فصارت لا شرقية ولا غربية ولا دنيوية ولا أخروية ولا تريد لذة الدنيا ولا تريد لذة الآخرة يريدون وجهه وإن شئت تقول لا شرقية ولا غربية لا ترغب فى الجنة ولا تخاف من النار وإن شئت تقول لا شرقية ولا غربية لا يغلب عليها الخوف فتيئس من روح الله تعالى ولا يغلب عليها الرجاء فتامن مكر الله تعالى فهي واقفة بين الخوف والرجاء لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهى لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أى لصفائه وأشراقه نور على نور نور الدهن على نور المصباح ونور المصباح على نور الزجاجة (يهدي الله لنوره من يشاء) .

(فصل) : إن أشرقت شمس التوحيد من فلك التفريد على أرض قلبك اضمحلت رسوم نفسك وانقشعت ظلمات بشريتك (وأشرقت الارض بنور ربها) ورأيت صفوة الخلائق وسائر الأنبياء يسيرون تحت لواء لا إله إلا الله كل نبي زمرته وأتباعه بالله هل لك معهم نفس أوفيما بينهم قدم لا كلا كلا ولا مشيت قدما فى متابعتك أو راعيته نفسا فى مراقبتك بل عبادتك مشوبة بالحظوظ وخلواتك ممزوجة بالاغراض واذكارك مخلوطة بالغفلات وحركاتك وسكناتك مشوبة بسوء الأدب أترى إذا صليت وقلت وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض وأنت ملتفت إلى غيره هل تكون قد توجهت إليه واذا أمسكت عن طعامك وشرابك عادة لا عبادة هل أمسكت لأجله كلا وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب والنصب تالله مجرد الصورة لا يكفى ومجرد القول لا يغني (إذا جاءك المنافقون قالوا) الآية القول بمنزلة الورق من الشجرة فان كلمة التوحيد بمنزلة الشجرة (كلمة طيبة كشجرة طيبة) فعروق هذه الشجرة التصديق وساقها الاخلاص وأغصانها الأعمال وأوراقها الأقوال فكما أن أدني مافى الشجرة الاوراق فكذلك أدنى مافى الايمان الاقوال .

(فصل) : اعلم أن شجرة لا إله إلا الله شجرة السعادة فان غرستها فى منبت التصديق وسقيتها من ماء الاخلاص ورعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها وأينعت ثمارها وتضاعف أكلها (تؤتى أكلها كل حين باذن ربها)

فإن قلت ما ثمرة هذه الشجرة قلت اليقظة والتوبة والزهد والورع والتوكل والتسليم والتفويض وكل صفة من الصفات الباطنة الروحانية وكل خصلة من الخصال المحمودة الظاهرة الجسمانية فإن تلك الشجرة (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) وهذه الشجرة تؤتي أكلها كل حين ولكن تلك حينها ستة أشهر وهذه حينها كل لحظة ونفس ثمرة هذه الشجرة قوت لعالم الأرواح وثمرة تلك الشجرة قوت لعالم الأشباح ، هذه قوت لعالم المعاني والأسرار وتلك قوت لعالم الصور والآثار ، وإن غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق وسقيتها من ماء الرياء والنفاق وتعاهدتها بالأعمال السيئة والأفعال القبيحة وراعيتها بنقض العهد وتضييع الأمانة طفح عليها غدير الغدر ولفحها هجير الهجر فتناثرت ثمارها وتساقطت أوراقها وانقعس ساقها وتقطعت عروقها وهبت عليها عواصف القدر فمزقتها كل ممزق (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثوراً) .

(فصل) : من استظل بظل هذه الشجرة فقد ظفر ومن لا فقد خسر من تعلق بهذه فقد سعد سعادة الأبد ومن لا فقد شقي شقاوة الأبد ومن تعلق بغصن من أغصانها رفعه إلى أعلى الدرجات ومن لا وضع في أدنى الدركات .

(فصل) : «لا إله إلا الله هي الكلمة العالية الشريفة الغالية من استمسك بها فقد سلم ومن استعصم بعصمتها فقد عصم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم» الخبر . هذا توقيع العصمة الدنيوية وأما توقيع العصمة الأخروية لا إله إلا الله حصني فمن قال لا إله إلا الله دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة .

(فصل) : هذه كلمة نتيجتها معرفة الوحدانية وثمرتها الاقرار بالفردانية وذلك هو من وجود الموجودات وكون الكائنات لولا معرفة الوحدانية والاقرار بالفردانية لما سحب ذيل الوجود على موجود ولا خرج من كتم العدم مفقود (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الآية عبدي خلقتك من أجل التوحيد وخلقت الأشياء كلها من أجلك من العالم العلوي والعالم السفلي وما بينهما من الموجودات من الحيوانات والنباتات والجمادات السماء تظلك والأرض تقلك والملائكة تحفظك والنيرات العلوية تنور عليك والموجودات

السفلية محل تصرفك فالكل مخلوق لاجلك وأنت مخلوق من أجل التوحيد فكل الخلق إذاً انما خلق لأجل معرفة الوحدانية والاقرار بالفردانية كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق

(فصل) : أعرف عبدي خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فاشتغلت بالنعمة عن المنعم وبالعطاء عن المعطى فما أديت شكر نعمته ولا راعيت حرمة عطائه ، كل نعمة شغلتك عني فهى نقمة وكل عطية الهتك عني فهى بلية سؤال ـ ماشكر النعم الجواب ؟ ـ شكر النعمة هو الثناء على المنعم بما أنعم عليك وأسداه اليك وان شئت أن تقول قل الشكر هو أن تستعين بنعمته على طاعته ، الشكر هو أن لا تشتغل بنعمته عنه ، الشكر هو رؤية المنعم فيما أنعم به ، شكر النعمة مظنة النوال وكفرها مظنة الزوال ، شكر النعمة مظنة الابصار وكفرها مظنة البوار ، شكر النعمة مظنـــة للمزيد وكفرها مظنة العـــذاب الشديد (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد)

(فصل) : عبدى أنا الذي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعطى لا لباعث وأمنع لا لحادث وأسعد لا لعلة وأخلق لا لقلة وابتلى بالشكر لا لحاجة وقد خلت الاحدية وتقدست الصمدية عن البواعث والعلل لو كانت الارادة هى عن باعث لكان محمولا ولو كانت عن حادث لكان معلولا وليس بمحمول ولا معلول بل خالق البواعث والعلل (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

(فصل) : عبدى ليس فى الوجود الا أنا فلاتشتغل الا بي ولا تقبل الا على ان حصلت لك فقد حصل لك كل شيء وان فتك فقد فات كل شيء وان رفعت الى ذروة الاكوان وترقيت الى آن الامكان وأعطيت مفاتيح كنوز الكونين وسيقت اليك ذخائر الدارين واغتررت بشيء منها طرفة عين فأنت مشتغل عنا لا بنا ومقبل على غيرنا لا علينا ان قنعت بنعيم العاجلة فأنت هالك (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) وان قنعت بنعيم الجنة فأنت من البله من اشتغل بالدار عن الجار فهو أبله ومن اشتغل بالرزق عن الرازق فهو أبله وان متعت بنعيم الدنيا فاتك نعيم وأن متعت بنعيم الآخرة فاتك نعيم الدنيا والسعادة مالم تخسر الدنيا ولا الآخرة

(يريدون وجهه) لا تصلح لطلبنا ولا تدخل فى دائرة ارادتنا ولا تكون بنا ولا لنا وأنشد بلسان حالك :

ولما رأيت الحب قد مد جسره ✽ ونودى بالعشاق ويحكم مروا
أتيت مع العشاق كيما أجوزه ✽ فصادفنى الحرمان فانقطع الجسر
أحاطت بى الامواج من كل جانب ✽ ونادى منادى الهجر قد عدم الصبر

هذا العقد إن رضيت به والا فعليك بدين العجائز تعجز بعاجز النساء واقعد فى بيت تخلفك واجلس فى زاوية ادبارك انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين .

(فصل) : مريد الدنيا كثير ومريد الآخرة كثير ومريد الحق عزيز خطير خطر المريد على قدر خطر الارادة وخطر الارادة على قدر خطر المراد وخطر الخلق يسير فخطر ارادته يسير فخطر مريده يسير، خطر الحق خطير وخطر ارادته خطير فخطر مريده خطير من أراد من الملك الدخول الى عرصة داره والجلوس على مائدة كرامته لا يكون كمن يريد من الملك جيفة ملقاة فى اصطبل دوابه ومن أراد من الملك الجلوس معه على بساط قربه فى حجرة خلوته لا يكون كمن أراد منه الدخول الى دار ضيافته والخلاص من سجن مهانته ، للمجاورة أثر فى المجاورة فمجاورة تكسب شرفا ومجاورة تكسب دناءة ومن جاور الملك فى دار كرامته اكتسب شرفاً ومن جالس الملك على بساط قربه فى حجرة خلوته ازداد شرفاً لكل درجة ولكل مقام لهم درجات عند الله وما منا إلا له مقام معلوم أقوام قاموا فى عالم الطبيعة واستولت عليهم ظلمات عالم البشرية فعميت عليهم بصائرهم عن ارادة الأعلى فتعلقت ارادتهم بالادنى وتشبثت هممهم بحظوظ الدنيا وهى الجيفة الملقاة فى اصطبل الدواب فحبطت أعمالهم وخابت آمالهم وعذبوا بعذابين عذاب الفرقة فى الحال وعذاب الحرقة فى المآل (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) أقوام اجتهدوا فى مفارقة عالم الطبيعة والخلاص من ظلمة عالم البشرية فاشتغلوا بالرياضة وتزكية النفوس والطهارة فارتفعوا عن تلك الدرجة وعلوا عن تلك

الزينة غير أنهم بقيت عليهم بقية من عالم الطبيعة والبشرية فلم تكمل لهم ارادة الحق فتعلقت ارادتهم بالنجاة من النار وهي سجن المهانة وأقوام غلب عليهم الخوف فتعلقت ارادتهم بالنجاة من النار وهي سجن المهانة وقوم غلب عليهم حب الرجاء فتعلقت ارادتهم بالجنة وهي دار الكرامة وهؤلاء قوم اشتغلوا بالعالى عن الاعلى وبالكامل عن الأكمل وبالشريف عن الأشرف وهذه الفرقة وان لم يعذبوا فى المآل بنيران الحرقة فقد عذبوا فى الحال بنيران الفرقة ونيران الفرقة عند الأحباب أشد من نيران الحرقة . شعر :

ولو سلطت نار التفرق والهوى * على سقر يوما لذاب لهيبها
أشد جحيم النار أبرد موقعاً * على كبدى من نار بين أصيبها

أقوام فارقوا عالم الطبيعة وطاروا عن عش عالم البشرية ولم يبق عليهم من رسومهم بقية فجازوا الأكوان وعبروا الموجودات وغابوا عن الخلق فتعلقت ارادتهم بالحق فهو مرادهم ومقصودهم ولسان الحق ينطق عنهم مالنا والاشتغال بالدنيا والعقبى مالنا والاشتغال بالجنة والنار لانشتغل بدنيا ولاعقبى ولا جنه ولا نار ! ان رضى عنا فهو قادر ان ينعمنا فى النار وان غضب علينا نعوذ به منه فهو قادر على أن يعذبنا فى الجنة ! ولو عبدناه رغبة في جنته أو رهبة من ناره لكنا ممن يعبده على حرف وقد عاب ذلك على أقوام فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية فنعبده له لا لسواه يريدون وجهه فحصل لهم الملك ملك الدنيا وملك العقبى فهم الملوك فى زي المساكين من ادعى في محبته كذب باشتغاله عنه بلذيذ الطعام والشراب ومن اشتغل بنعيم الجنة فهو كذاب ان قاموا فيه وان قعدوا فمعه وان نطقوا فعنه وان أخذوا فمنه وان نظروا فاليه وان غمضوا فعليه به يسمعون وبه يبصرون وبه ينطقون وبه يبطشون واليه الاشارة بقوله كنت له سمعا وبصراً ويداً ومؤيداً فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ، الخبر . ما جعل لغيرهم وعداً عجل لهم نقداً وما جعل لغيرهم غيبا شاهدوه عينا فهم فى زواياهم وعلى سجاداتهم وهم فى الشرق وهم فى الغرب وهم في الفرش وهم فى العرش وان لم يعرج بأشباحهم فقد عرجوا بأرواحهم وان لم يشاهدوا الحق بأبصارهم فقد شاهدوهم بأسرارهم فهم صفوة

الحق ومقصود الكون من الخلق بهم يرزقون وبهم يخلقون أخلصوا لله فى العبودية والتوحيد وصدقوا فى الارادة والتجريد فطوبى لهم لا بل طوبى لمن آمن بهم ولقد عاتب الحق سبحانه وتعالى نبيه سيد الأحباب فى مثل حالهم بأشد العتاب فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء) الآية . سؤال ما الارادة؟ الجواب الارادة عقد القلب على طلب الرب، الارادة ترك الممالك وركوب المهالك، الارادة ترك الراحات والاعراض عن المباحات، الارادة الاحتراق بنيران الطلب ألا ترى احتراق الفراش فى نار الشمعة فان الفراش المسكين يتهافت على الوقوع فى النار والاحتراق بالنار كأن حياته فى احراقه هذا مع صغر شأنه وصغر مطلوبه يتلف نفسه فى محبوبه وأنت مع كمالك وجلالة محبوبك تتوقف فى بذل نفسك ومحو وجودك كأن الأبدية متوقفة على وجودك وذلك المسكين متهافت متهالك على اتلاف نفسه فى مطلوبه ومراده فكان حياته فى ابطال حياته وأنت تسمع منادى القدم ينادى فوق سطح قصر دائرة الأزل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله) الآية. وأنت تتوقف من قصر شأن ارادتك عن شأن ارادة فراشه ومن كان هكذا فليس بصادق فى الارادة لابل ليس له نصيب فى اللذاذة .

(فصل) : فلا بد لك من بذل نفسك ومحو وجودك إما نحن وإما أنت فنفسك حجابك مالم يرتفع الحجاب فلا نحن ولا أنت ولست لنا ولسنا لك ان زال عنك وجود كان بك أبقيناك بوجود هو بنا من كان فى الله تلفه كان على الله خلفه نفسك أقل من كل شيء ومرادك أجل من كل شيء فما لم تترك أقل من كل شيء لأجل كل شيء فكيف تكون طالبا؟ فكيف تكون مريداً؟ أبذل النفس وقدم المهجة (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) هذا مهر الوصال والا فدون الوصال حد النصال ان كنت مريداً فأنت مراد وان كنت طالباً فأنت مطلوب وان كنت محباً فأنت محبوب (وما تشاؤن الا أن يشاء الله)

(فصل) : ياهذا مادمت مقبلا على غيرنا وملتفتاً الى سوانا فواظب على قول لا اله الا الله فانها تمحو منك المذموم وتزيد فيك المحمود فان فيك وجودين وجود مذموم ووجود محمود ووجود عدلى ووجود فضلى فوجودك المذموم من عالم العدل ووجودك المحمود من عالم الفضل وكل واحد من هذين العالمين يشتمل على أجزاء متعددة

فوجودك العدلى يشتمل على سبعة أجزاء عدلية وهى الحس والشغل والهوى وكدورة النفس والنفس والبشرية والطبع والشيطان من وراء ذلك والفضلى يشتمل على ثمانية أجزاء فضلية وهى الحس والفهم والعقل والفؤاد والقلب والروح والسر والهمة والملك من وراء ذلك وكل جزء من أجزاء وجودك العدلى مقابل بجزء من أجزاء وجودك الفضلى فالحس يكون مذموماً ويكون محموداً فالحس المحمود فى مقابلة الحس المذموم والشغل فى مقابلة الفهم والهوى فى مقابلة العقل وكدورة النفس فى مقابلة الفؤاد والنفس فى مقابلة القلب والبشرية فى مقابلة الروح والطبع فى مقابلة السر والشيطان فى مقابلة الملك وأما الهمة فليس فى مقابلتها جزء من المذموم لأنها جزء ثامن وإنما كانت أجزاء الفضل ثمانية وأجزاء العدل سبعة لأن لكل جزء من هذه الأجزاء باب من أبواب وجودك فجعل أبواب وجودك الفضلى ثمانية بعدد ابواب الجنة فانها دار الفضل وجعل أبواب وجودك العدلى سبعة بعدد أبواب النار لانها دار العدل قال سبحانه وتعالى (لها سبعة ابواب) فوجودك الفضلى هو الجنة المعجلة وهو الجنة الصغرى ووجودك العدلى هو النار المعجلة وهو جهنم الصغرى وكل باب من أبواب الجنة المعجلة ينفذ الى باب من أبواب الجنة المؤجلة وكل باب من أبواب النار المعجلة ينفذ الى باب من أبواب النار المؤجلة (لكل باب منهم جزء مقسوم)

(فصل) : فان أشرق نور هذه الكلمة على جزء من أجزائك الفضلية ذهبت ظلمة مايقابلها من أجزائك العدلية فان أشرق نور الكلمة مثلا على السر ذهبت ظلمة الطبع وان أشرق على الروح ذهبت ظلمة البشرية وان أشرق على القلب ذهبت ظلمة النفس وكذلك سائرها فان أجزائك الفضلية فى اللطافة بمنزلة الجوهرة الشفافة تطرح شعاعها على مايقابلها ويحاذيها ومثال ذلك مثال مصباح فى قنديل والقنديل فى زاوية أو بيت مظلم فان نور المصباح يشرق على القنديل ونور القنديل يشرق على الزاوية أو البيت المظلم فقدر كلمة التوحيد بمنزلة المصباح وقدر جزئك الفضلى بمنزلة القنديل وقدر العدلى بمنزلة الزاوية أو البيت المظلم فكما أن نور المصباح يشرق على القنديل ونور القنديل يشرق على الزاوية أو البيت المظلم فكذلك نور كلمة التوحيد يشرق على جزئك الفضلى وجزؤك الفضلى يشرق على جزئك العدلى وكما أن ظلمة البيت والزاوية تزول بمقابلة القنديل والمصباح فكذلك ظلمة جزئك العدلى تزول بمقابلة جزئك الفضلى ونور التوحيد

واليه الاشارة بقوله (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) الآية. ومما يوضح لك أن المقابلة لها أثر فى تعدى النور من محل الى محل نور الشمس فانه ينبسط على جدار مثلا فيستنير بنوره الجدار الذى يقابله ثم يستنير بنور ذلك الجدار جدار آخر يقابله وعلى ذلك لا يزال النور يتعدى من محل الى محل آخر بطريق المقابلة الى أن تقطع بحجاب كثيف فعند ذلك ينقطع التعدى هذا فى عالم العينى واذا كان فى عالم العينى كذلك فان عالمك الغيبى على نحو من عالمك العينى يكون فى عالمك الغيبى جزء منه ولهذا يقال لك العالم الاصغر واذا جاز ذلك فى العالم الأكبر جاز فى العالم الاصغر وقد يجوز أن يشرق نور الكلمة مثلا على جزء من أجزائك الفضليه ثم يتعدى من ذلك الجزء الى سائرها مثل أن يشرق على الهمة فيتعدى الى السر ومن السر الى الروح ومن الروح الى القلب الى أن يصل الى سائرها فان كل جزء من هذه الاجزاء مقابل لصاحبه وقد بينا أن المقابلة لها أثر فى تعدى الانوار وانما ينقطع التعدى بحجاب كثيف وهذه لطيفة وليست بكثيفة فينبغى أن يتعدى من الجزء الواحد الى سائرها فاذا كان هناك حجاب كثيف من آثار أجزائك العدلية فانه ربما منع تعدى النور الى ماوراءه وذلك المثال فى ضرب المثال بمنزلة نور الشمس فان الشمس فى العالم العلوى فى السماء الرابعة ويصل شعاعها الى هذا العالم السفلى لان أجزاء السموات رقيقة لا يحجب وصول النور الى ماوراءه فلو قدر فى مقابلتها جزء من أجزاء العالم السفلى أو حجاب كثيف كالغيم وغيره يحجب شعاعها عن وصول النور اليك فعالم وجودك الفضلى بمنزلة العالم العلوي وعالم وجودك العدلى بمنزلة العالم السفلى فقدر الهمة من العالم الفضلى بمنزلة العرش من العالم العلوى وقدر الصفات السبع بمنزلة السموات السبع وقدر صفات العالم العدلى السبع بمنزلة الأرضين السبع وكما أن العالم العلوي فى غاية اللطافة لا يحجب وصول النور من جزء الى جزء فكذلك العالم الفضلى فى غاية اللطافة لا يحجب من وصول النور من جزء الى جزء وكما أن العالم السفلى فى غاية الكثافة يحجب وصول النور من جزء الى جزء فكذلك عالم العدلى فى غاية الكثافة يحجب وصول النور من جزء الى جزء

(فصل) : العالم الفضلى كله نور والعالم العدلى كله ظلمة وهما يتعاقبان كلما ذهب جزء من عالم العدلى أعقبه جزء من عالم الفضلى فهما فى التعاقب بمنزلة الحركة والسكون أو الظل والشمس أو الليل والنهار كلما ذهب جزء من الليل أعقبه جزء من النهار وكلما

ذهب جزء من النهار أعقبه جزء من الليل (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل)
فليلك عالم وجودك العدلى ونهارك عالم وجودك الفضلى فان تكاثفت ظلمات الشرك من
نفى لا إله على نهار وجودك الفضلى ذهب نوره وصار عدلياً وان طلعت شمس الوحدانية
من برج الفردانية فى سماء الا الله على ليل وجودك العدلى أذهب ظلمته وصار فضلياً
فمسكن لا إله عالم وجودك العدلى ومسكن الا الله عالم وجودك الفضلى فلا إله ظلمة
ومسكنه منك محل الظلمة والا الله نور ومسكنه منك محل النور فاذا اتصلت حدود لا إله
باثبات الا الله انعكست أنوار الاثبات على ظلمة النفى فصار الكل نوراً واثباتاً محضاً
وذهبت ظلمة النفى بنور الاثبات (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)
فاذا ذهبت ظلمة النفى بنور الاثبات استنار به عالم وجودك العدلى وانقلبت أجزاؤه
العدلية فضلية فصار الحس المذموم حساً محموداً وصار الشغل فهماً والهوى عقلاً وكدورة
النفس فؤاداً والنفس قلباً والبشرية روحاً والطبع سراً والشيطان ملكاً واليه الاشارة
فى قوله أسلم شيطانى

(فصل) اعلم أن السالك له ثلاثة منازل فالمنزل الأول عالم الفناء والمنزل الثانى
عالم الجذبة والمنزل الثالث عالم القبضة فاذا كنت فى عالم الفناء فواظب على قول لا اله الا
الله واذا كنت في عالم الجذبة فواظب على قول الله الله واذا كنت فى عالم القبضة فواظب
على قول هو هو وانما كان ذكرك فى عالم الفناء لا اله الا الله وذكرك فى عالم الجذبة الله الله
وذكرك فى عالم القبضة هو هو لانك مادمت سالكاً فى عالم الفناء فالغالب عليك عالم وجودك
العدلى ومادمت سالكاً عالم الجذبة فالغالب عليك عالم وجودك الفضلى فاجعل ذكرك فى عالم
الفناء لا اله الا الله لان المستولى عليك عالم وجودك العدلى وصفاتك المذمومة واجعل ذكرك
فى عالم الجذبة الله الله لأن المستولى عليك عالم وجودك الفضلى وصفاتك المحمودة لأن كلمة
لا اله الا الله خاصيتها فى النفى والمحو وكلمة الله خاصيتها فى التقوية والتنزيه المحمودة ومادمت
فى عالم الفناء فأنت الى النفى والمحو أحوج لأن الغالب عليك الصفات المذمومة
وما دمت فى عالم الجذبة فأنت الى التقوية والتنزيه أحوج لان الغالب عليك الصفات
المحمودة أما اختصاص عالم القبضة بقولك هو هو لانك متى وصلت الى هذا العالم
فقد ذهبت عنك كدورات صفاتك العدلية وأشرقت عليك أنوار صفاتك الفضلية
واتصل بك تصرف الحق سبحانه وتعالى من غير واسطة وصرت معدوما بالاضافة

اليك موجوداً بالاضافة اليه فانيا بالاضافة اليك باقيا بالاضافة اليه فجعل ذكرك فى هذا العالم هو هو لان الموجود هو والباقى هو ومعنى قولنا عالم الفناء أن السالك والمريد يفنى فيه نفسه ويبقى وجوده ويمحو صفاته المذمومة ومعنى قولنا عالم الجذبة أنه قد وقع فى جذبة الملك ومعنى قولنا عالم القبضة أنه قد وقع فى قبضة الحق سبحانه وتعالى فيتصرف فيه من غير واسطة فهذه منازل السالك

(فصل) : اعلم أن الأولياء لهم أربعة مقامات فالاول مقام خلافة النبوة والثانى مقام خلافة الرسالة والثالث مقام خلافة أولى العزم والرابع مقام خلافة أولى الاصطفاء فمقام خلافة النبوة للعلماء ومقام خلافة الرسالة للاولياء ومقام خلافة أولى العزم للاوتاد ومقام خلافة أولى الاصطفاء للاقطاب فمن الأولياء من يقوم فى العالم مقام الانبياء ومنهم من يقوم فى العالم مقام الرسل ومنهم من يقوم فى العالم مقام أولى العزم ومنهم من يقوم فى العالم مقام أولى الاصطفاء ومعنى الولى على وجهين الوجه الأول من ثبت له تصرف وولاية على مصلحة دينية والوجه الثانى ليس له ولاية التصرف بالقوة بل ثبت له تصرف وولاية التصرف فان قيل كيف تكون ولياً وليس له ولاية التصرف ؟ . الجواب يجوز أن يكون ولياً على معنى أن الله قد تولى جميع أموره وهذا الولى ولى بالفعل ان سمع فبالحق يسمع وان أبصر فبالحق يبصر وان نطق فبالحق ينطق فهو فى عالم المحبوبية والى ذلك الاشارة بقوله كنت له سمعاً وبصراً الخبر وهذا الولى لايصلح أن يكون مربياً للخلق لأنه فى قبضة الحق مسلوب الاختيار واذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربياً لغيره لأن التصرف فى غيره يستدعي ولاية التصرف فى نفسه وهذا الولى مجذوب فى نفسه فكان مسلوب التصرف فى غيره ألا يرى فى عرف الشرع أن من ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره ومن لا فلا والعاقل البالغ لما ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره والطفل والصبي لما لم تثبت له الولاية على نفسه لم تثبت له الولاية على غيره فالمجذوب فى قبضة الحق بمنزلة الصبي فى ولدنا فهو فى حجر تربية المحبوبية يرضع بلبن كرم الربوبية وهم أطفال قهرنا فى حجر تربية ارادتنا يرضعون بلبن كرمنا فأما الولى السالك يصلح أن يكون مربياً للخلق لانه بمنزلة البالغ الذى يثبت له الولاية على نفسه ومن له ولاية على نفسه جاز له

الولاية على غيره فاذا جاز ذلك فى عرف الشريعة جاز فى عرف الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بين الشريعة والحقيقة كفر وزندقة فمثال المجذوب فى مقام المحبوبية كمثل رجل سلك به فى طريق البادية مشدود العين فهو لايعرف موضع قدمه ولا يدرى أين يذهب وهـذا الرجل اذا قطع الطريق ووصل إلى مراده لو سئل عن منزل من المنازل لم يكن عنده علم ولا خبر وكما أن هذا الرجل لايصلح أن يكون دليلا فى البادية فكذلك المجذوب لايصلح أن يكون دليلا فى طريق الآخرة ومثال السالك فى طريق الآخرة كمثل رجل سلك طريق البادية وشاهدها وعرف منازلها ومراحلها وسهلها وجبلها ويعرفها شبرآ شبرآ ويعلمها ويتقنها علمآ وخبرآ وكما أن هذا الرجل يصلح أن يكون دليلا على طريق البادية فكذلك السالك فى طريق المعرفة يصلح أن يكون دليلا فى طريق الآخرة.

﴿فصل﴾: كاشف القلوب يقول لاإله الا الله وكاشف الارواح يقول الله الله وكاشف الأسرار يقول هو هو ولاإله الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلاإله إلا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الأرواح وهو مغناطيس الأسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة أو بمنزلة طير فى قفص في بيت فالحقة والبيت بمنزلة القلب والصدفة والقفص بمنزلة الروح والدرة والطائر بمنزلة السر فمهما لاتصل إلى البيت لاتصل الى القفص ومهما لاتصل إلى القفص لاتصل الى الطائر وكذلك مهما لم تصل الى القلب لاتصل الى الروح ومهما لم تصل الى الروح لاتصل الى السر فاذا وصلت الى البيت فقد وصلت إلى عالم القلوب واذا وصلت الى القفص فقد وصلت الى عالم الأرواح وإذا وصلت الى الطائر فقد وصلت الى عالم الاسرار فافتح باب قلبك بمفتاح قولك لاإله إلا الله وباب روحك بمفتاح قولك الله الله واستنزل طائر سرك بقولك هو هو فان قولك هو قوت لهذا الطائر واليـه الاشارة بقوله تعالى ياموسى اجعلنى طعامك وشرابك واعلم أن تشبيه القلب بالبيت والروح بالقفص والسر بالطير تشبيه مجازي من جهة الحس تقريب لفهمك واشارة الى أنه لاوصول الى عالم الارواح الا بعد العبور عن عالم القلوب ولا وصول الى عالم الاسرار الا بعـد العبور عن عالم الارواح وإلا فالحقيقة بالعكس من ذلك فان عالم الارواح أكبر من عالم القلوب

وعالم الأسرار أكبر من عالم الأرواح وانما مثله الحقيقى ثلاث دوائر بعضها محيط بعض فالدائرة الكبرى عالم الأسرار والوسطى عالم الأرواح والصغرى عالم القلوب فعالم القلوب أصغر من عالم الارواح وعالم الارواح أصغر من عالم الاسرار وانما كان عالم القلوب أصغر من عالم الارواح لان عالم القلب أقرب الى عالم الغيب والشهادة من عالم الارواح وانما كان عالم الارواح أصغر من عالم الاسرار لان عالم الارواح أقرب الى عالم الاشباح من عالم الاسرار فكل ما كان الى عالم الاشباح أقرب كان الى الاصغر أقرب وكل ما كان منه أبعد كان الى الاكبر أقرب ولان عالم الاشباح عالم الضيق والحرج والزحمة وعالم الارواح والاسرار عالم الفسحة والروح وكل ما كان أصغر مما هو أقرب الى عالم الملك والملكوت والسعادة كان أكبر مما هو أقرب الى عالم الغيب والشهادة وهو عالم الاسرار فافهم أمدك الله بالفهم

(فصل) : بالله يا أخي هل لك فى هذه السماء نجم أو من هذه البحار قطرة كلا كلا بل نفس مستولية وبشرية غالبة فطبع ظاهرك (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) فاخرج من عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم البشرية الى عالم الروح ومن عالم الطبع الى عالم السر ومن ظلمة وجودك اليه فتشاهد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)

(فصل) : عالم النفس وعالم البشرية وعالم الطبع مهاو ودركات لعالم العدل وعالم القلب وعالم الروح وعالم السر معارج ودرجات لعالم الفضل فعالم النفس درك للعاصين وعالم البشرية درك للكافرين وعالم الطبيعة درك للمنافقين (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وأما عالم القلب فمعراج المريدين وعالم الروح معراج الصديقين وعالم السر معراج المريدين وان شئت أن تقول عالم القلب معراج أهل البداية وعالم الروح معراج أهل التوسط والكفاية وعالم السر معراج أهل الوصول والنهاية وجه آخر عالم القلب معراج التوابين وعالم الروح معراج المحبين وعالم السر معراج العارفين فمهما لم ترق من حضيض طبعك وبشريتك ونفسك لا تصل الى عالمهم فاذا ترقيت من درك طبعك وبشريتك ونفسك فحينئذ يستقبلك تصرف الحق فيك قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فتارة يقلبه من قبض

الى بسط ومن خوف الى رجاء ومن بقاء الى فناء ومن صحو الى محو ومن طرب الى حزن وتارة يعكس هذه الأحوال ويغير عليه هذه الأوصاف وهو أبداً بين قبض وبسط وخوف ورجاء وفناء وبقاء ومحو وصحو وطرب وحزن وتارة يجذبه عنه ويوصله الى أعلى مراتب السائرين اليه وتارة يرده عنه فيوقعه في أدنى منازل المنقطعين عنه جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين

(فصل) : اعلم أن هذا التعدد والتنوع والتغير انما هو بالنسبة الى متعلقات صفاته إذ هو واحد في ذاته وصفاته علمه واحد وهو محيط بجميع المعلومات وقدرته واحدة وهي محيطة بجميع المقدورات والعلم واحد والمعلومات متعددة والقدرة واحدة والمقدورات متعددة وتصرفه فيك واحد وتصرفاتك متعددة وذكر الاصبعين واليدين وأمثال ذلك على سبيل التشبيه وذكر الاصبع على جهة الاثنينية اشارة إلى سرعة التقليب من حال إلى حال والا فهو مقدس من أن يكون جسما أو جوهراً أو عرضاً بل هو خالق الموجودات والاجسام والجواهر والاعراض لانه لو كان جسما لكان مؤلفاً وهو سبحانه مؤلف ليس بمؤلف لو كان جسما لكان مكيفاً وهو سبحانه ليس بمكيف لو كان جسما لكان مصوراً وهو سبحانه ليس بمصور لو كان مؤلفاً لافتقر الى مؤلف لو كان مكيفا لافتقر الى مكيف ولو كان مصورا لافتقر الي مصور وهو سبحانه مبدع التأليف والتكييف والتصوير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ولو كان عرضاً لافتقر الى محل يقوم به وهو سبحانه منزه عن أن يحل في شيء أو يقوم بشيء بل هو قبل كل شيء كان ولا مكان ولا انس ولا جان ولا سماء ولا أرض ولا عرش ولا فرش ولا ملك ولا افلاك ولا شمس ولا قمر ولا عين ولا أثر ولا حجر ولا مدر ولا ماء ولا شجر ولا فضاء ولا ضياء ولا ظلال ولا وراء ولا امام ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت ولا نبات ولا جماد كان قبل كل الأكوان وهو الآن كما كان ولا يزال على مر الدهور والأزمان قربه بغير اتصال وبعده بغير انفصال وفعله بغير الجوارح والاوصال منزه برىء عن الاستقرار والانتقال تعالى عن التحول والزوال وتقدس عن الحلول في المحال لا إله إلا الله هو الكبير المتعال عن الوهم والحس والخيال ليس له شكل ولا تصوير ولا مثل ولا نظير ولا معين ولا ظهير ولا وزير ولا مشير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ليس له حد ولا تحيط به الجهات ولا تغيره الحالات ولا تشبه ذاته الذوات ولا تشاكل صفاته الصفات تقدست ذاته عن سمات الكائنات وصفاته عن صفات الحادثات تنزه القدم عن الحدوث وتقدس القديم عن المحدث ان قلت كم فقد كان قبل الاجزاء والأبعاض وان قلت كيف فقد كان قبل وجود الأحوال والاعراض وان قلت متى فقد كان قبل وجود الزمان وان قلت أين فقد كان قبل وجود المكان وسبق الأشياء كلها وجودا وأخرجها من كتم العدم فضلا وجودا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) أول ليس قبله شيء وآخر ليس بعده شيء ظاهر أي لا يستره شيء باطن أي لا يكتنفه شيء واحد أي ليس كمثله شيء

(فصل) : فاذا وصلت الى عالم الفناء اتصل بك تصرف الحق فيك فصار حجرك اكسيرا عزيزاً وانقلب نحاسك ذهباً ابريزا وأودع عليك من أنوار التنزيه والتوحيد ماتنفي معه كل شرك وتشبيه وتعطيل وتمويه فتصفو بصفاء التوحيد عن كدورات صفاتك وتقدس به عن دنث مخالفاتك فحينئذ يدخلك في زمرة السالكين ويسيرك في منازل السائرين الى أن يبلغ بك إلى أعلى منازل القلب من الرضاء والتسليم والتفويض والطمأنينة والسكينة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

(فصل) : فاذا وصلت الى عالم الروح برز لك نعت القدم بتنصيص التخصيص ومنشور التشريف من باء اضافة (ونفخت فيه من روحي) وهذه اضافة تفضيل القدم للحدوث وتسجيل القديم للمحدث فكاد هذا التشريف أن يصل القديم بالمحدث تنزه القدم عن الحدوث وتنزه القديم عن المحدث وجلت الأزلية عن الوصل اضافتك اليه اضافة مزية لا اضافة جزئية اضافتك اليه اضافة خصوصية لا اضافة بعضية اضافة قربة لا اضافة نسبة اضافة كرم لا اضافة قدم وهو منزه عن كل اضافة وان قال (ونفخت فيه من روحي)

(فصل) : ليس له كل فيقال له بعض وليس له جنس فيقال نوع تنزه عن حقيقة من والى وفي وعلى ليس له جنسية ولا بعضية فيقال من ولا محلية فيقال في وليس له قرار فيقال على فتقدس عن البداية والنهاية والظرفية والمحلية

(فصل) : فاذا وصلت الى عالم السر كوشفت بأسرار الغيب وزفت اليك عرائس أبكار الاسرار في خلوات أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري من توسط (فأوحى الى عبده ما أوحى) في مجلس السر بيني وبين عبدي سر لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي.

مرسل ثم تأتيك ألطاف القدرة بتحف الحضرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) تدرى ماقرة عين العاشق قرة عين العاشق رؤية وجه محبوبه ومعشوقه والتمتع بالنظر الى جماله يشق لك سمعاً فى قلبك وبصراً فى لبك فتسمع بغير أذن وتبصر بغير عين فلا تسمع إلا من الغيب ولا تبصر إلا من الغيب فيصير الغيب عندك عيناً والخبر معاينة وهو معنى قوله رأى قلبي ربي ومفهوم اشارة القدم فى متن مصحف المجيد (ألم تر الى ربك) فحينئذ يجذبك عنك ويسلبك منك فتقع فى القبضة فيوصلك إلى أعلى مراتب التوحيد والمعرفة فى أعلى منازل السر والهمة ماتقصر العبارة عن التعبير به وتعجز الاسرار عن الاشارة اليه وهو نهاية الاقدام وليس وراء عبادان قرية . لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فحينئذ تقول سبحان من لم يجعل طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ولما علم الحق سبحانه عجز خلقه عن أداء صفته فى حقيقة الوحدانية والفردانية وشهد لنفسه بالحق للحق (شهد الله أنه لا إله إلا هو)

(فصل) : التوحيد هو البداية وهو النهاية والنهاية رجوع الى البداية منه بديء واليه يعود كلمة لا إله إلا الله هي البداية والنهاية منها بديء واليها يعود فهي الكلمة الطيبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب وكلمة التقوى ودعوة الحق والعمل الصالح والعهد والحسنة والاحسان أما الكلمة الطيبة قال الله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) وأما الكلم الطيب (اليه يصعد الكلم الطيب) والقول السديد (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) والقول الصواب (إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) ودعوة الحق قوله تعالى (له دعوة الحق) وكلمة التقوى قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) والكلمة السواء قوله تعالى (الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله) والعمل الصالح قوله تعالى (رب ارجعون لعلى أعمل صالحا) والعهد قوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) والحسنة قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) والاحسان قوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وهى الحصن الحصين لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى جعلنا الله وإياكم ممن دخل حصن الله بمنه وكرمه واحسانه بداية ونهاية ورزقنا معانى أسراره بفضله ورحمته انه كريم جواد آمين .

تم كتاب التجريد — فى كلمة التوحيد ويليه رسالة الوعظ والاعتقاد

رسالة الوعظ والاعتقاد — الى أبى الفتح أحمد بن سلامة الدمى

لأبى حامد محمد الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بلغني : عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد حرس الله توفيقه وسمره فى مهم دينه ماقوى رغبتى فى مؤاخاته فى الله تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين . وهذه الاخوة لا تستدعى مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان وانما تستدعى قرب القلوب وتعارف الارواح وهي جنود مجندة فاذا تعارفت ائتلفت . وها أنا عاقد معه عقد الاخوة فى الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخليني عن دعوات فى أوقات خلوته وأن يسأل الله تعالى أن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه وأن يريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه . ثم قرع سمعى انه التمس مني كلاما فى معرض النصح والوعظ وقولا وجيزا فيما يجب على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد .

أما الوعظ : فلست أرى نفسي أهلا له لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره و(متى يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى مني وقال نبينا ﷺ تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت بهما نفسي فصدقت وقبلت قولا وعقلا وابت وتمردت تحقيقاً وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وانه الناصح الصادق فانه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ فقالت نعم فقلت قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد وعدك الله تعالى بالنار على ارادة الدنيا وكل من لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناولك ألذ الشهوات لتحاشيتها واتقيتها كأن النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فان كان كذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال تعالى (ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقلت لها هي انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان

الموت لامحالة آتيك وقاطع عليك كل ماأنت متمسكة به وسالب منك كل ماأنت راغبة فيه وكل ماهو آت قريب والبعيد ماليس بآت وقد قال الله تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه والحر الحكيم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها واللئيم يتمسك بها الى ان يخرج من الدنيا خائبا خاسرا متحسرا ؟ فقالت صدقت فكان ذلك منها قولا لاتحصيل وراءه اذ لم تجتهد قط فى التزود للآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجل ولم تجتهد قط فى رضاء الله تعالى كاجتهادها فى رضاها بل اجتهادها فى طلب الخلق ولم تستحى قط من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها فى الصيف فانها لاتطمئن فى أوائل الشتاء مالم تفرغ من جميع ماتحتاج اليه فيه من آلاته مع ان الموت ربما يختطفها والشتاء لايدركها والاخرة على يقين لايتصور أن يختطف منها . وقلت لها ألا تستعدى للصيف بقدر طوله وتصنعى آلة الصيف بقدر صبرك على الحر . قالت نعم . قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت هذا هو الواجب الذى لايرخص فى تركه الا الاحمق ثم استمرت على سجيتها فوجدتنى كما قال بعض الحكماء ان فى الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر وما أرانى الا منهم ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال على التفتيش حتى وقفت على سببه وها أنا موتس وإياه بالحذر منه فهو الداء العضال وهو السبب الداعى الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق فى بياض نهاره انه يموت فى ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الطريق المستقيم ولترك جميع ماهو فيه مما يظن انه مما يتعاطاه لله تعالى وهو مغرور فيه فضلا عما يعلم انه ليس لله تعالى فانكشف تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل أن يمسى أو أمسى وهو يأمل أن يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فاوصيه ونفسى بما أوصى به رسول الله ﷺ حيث قال «صل صلاة مودع» ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به فمن غلب على قلبه فى كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه قلبه فى الصلاة وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة ومن عجز عن ذلك فلا يزال فى غفلة دائمة وغرور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت فتدركه حسرة الفوت وانا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى ان يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه ان لايرضى من نفسه الا بها وان يحذر من مواقع الغرور فاذا وعدت النفس بذلك طالبها بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع

النفس لايقف عليه الا الاكياس .

وأما أقل مايجب اعتقاده على المكلف فهو مايترجمه قوله لاإله إلا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه فى صفات الله تعالى فانه حى قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسئلة حتى مات مات مؤمنا وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون بل كلما حصل فى قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل و برهان فهو مؤمن ولم يكلف رسول الله ﷺ أكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام الخلق الامن وقع فى بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه وبقى مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه وإن أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه مااعتقده السلف فيعتقد فى القرآن القدم كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق ويعتقد ان الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع ماجاء به الشرع ايمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية فان لم ينفعه ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فان أمكن ازالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل بل الاولى ان يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لايتم الا بدرك السؤال والجواب عنه ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لايحتمله عقله ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام

وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجرى مجرى منع الصبيان من شاطىء نهر الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهى رخصة الماهر فى صنعة السباحة الا أن ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو أن كل ضعيف فى عقله راض من الله تعالى فى كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون فى بحر الجهالات حيث لايشعرون فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لاتسمح الاعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف فى الايمان بالرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزله الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل اذ قال ﷺ حيث رأى أصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمركم الله

به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على المنهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام.

تمت الرسالة بعون الله ومنه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

رسالة الطير للامام حجة الاسلام الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت أصناف الطيور على اختلاف أنواعها وتباين طباعها وزعمت أنه لابد لها من ملك واتفقوا أنه لا يصلح لهذا الشأن الا العنقاء وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في مواطن الغرب وتقررها في بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض اليها والاستظلال بظلها والمثول بفنائها والاستسعاد بخدمتها فتناشدوا وقالوا قوموا الى الدار من ليلى نحييها * نعم ونسألها عن بعض أهليها

وإذا الاشواق الكامنة قد برزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب

بأى نواحى الأرض أبغى وصالكم * وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو

واذا هم بمنادي الغيب ينادى من وراء الحجب (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) لازموا اماكنكم ولا تفارقوا مساكنكم فانكم ان فارقتم أوطانكم ضاعفتم أشجانكم فدونكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء.

ان السلامة من سعدى وجارتها * أن لا تحل على حال بواديها

فلما سمعوا نداء التعذر من جناب الجبروت ما ازدادوا إلا شوقا وقلقا وتحيرا وأرقا وقالوا من عند آخرهم ولو داواك كل طبيب أنس * بغير كلام ليلى ما شفاكا

(وزعموا) ان المحب الذى لا شيء يقنعه * أو تستقر ومن يهوى به الدار

ثم نادى لهم الحنين ودب فيهم الجنون فلم يتلعثموا فى الطلب اهتزازاً منهم الى بلوغ الارب فقيل لهم بين أيديكم المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة وأماكن القر ومساكن الحر فيوشك أن تعجزوا دون بلوغ الامنية فتخترمكم المنية فالاحرى بكم مساكنة أوكار الاوطار قبل أن يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون الى هذا القول * ولا يبالون * بل رحلوا وهم يقولون

فريد عن الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد

فامتطى كل منهم مطية الهمة قد ألجمها بلجام الشوق وقومها بقوام العشق وهو يقول

أنظر الى ناقتي فى ساحة الوادى * شديدة بالسرى من تحت مياد

اذا اشتكت من كلال البين أوعدها * روح القدوم فتحيا عند ميعادى

لها بوجهك نور تستضيء به * وفى نوالك من أعقابها حادى

فرحلوا من محجة الاختيار فاستدرجتهم يد الاضطرار فهلك من كان من بلاد الحر فى بلاد البرد ومات من كان من بلاد البرد فى بلاد الحر وتصرفت فيهم الصواعق وتحكمت عليهم العواصف حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيرة الملك ونزلوا بفنائه واستظلوا بجنابه والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو فى أمنع حصن من حمى عزه فاخبر بهم فتقدم الى بعض سكان الحضرة أن يسألهم ما الذى حملهم على الحضور فقالوا حضرنا ليكون مليكنا فقيل لهم أتعبتم أنفسكم فنحن الملك شئتم أو أبيتم جئتم أو ذهبتم لا حاجة بنا اليكم * فلما أحسوا بالاستغناء والتعذر أيسوا وخجلوا وخابت ظنونهم فتعطلوا فلما شملتهم الحيرة وبهرتهم العزة قالوا لا سبيل الى الرجوع فقد تخاذلت القوى وأضعفنا الجوى فليتنا تركنا فى هذه الجزيرة لنموت عن آخرنا وأنشئوا يقولون هذه الابيات أسكان رامة هل من قرى * فقد دفع الليل ضيفا قنوعا

كفاه من الزاد أن تمهدوا * له نظرا وكلاما وسيعا

هذا وقد شملهم الداء وأشرفوا على الفناء ولجأوا الى الدعاء.

ثمل تشاوى بكاس الغرام * فكل غدا لاخيه رضيعا

فلما عمهم اليأس وضاقت بهم الانفاس تداركتهم أنفاس الايناس وقيل لهم هيهات فلا سبيل الى اليأس (فلا ييأس من روح الله إلا القوم الخاسرون) فان كان كمال الغنى يوجب التعزز والرد فجمال الكرم أوجب السماحة والقبول فبعد ان عرفتم مقداركم فى العجز عن معرفة قدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم ومنزل النعم فانه يطلب المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسبان ولولاه لما قال سيد الكل وسابقهم « احيني مسكينا » ومن استشعر عدم استحقاقه فحقيق بالملك العنقاء أن يتخذه قرينا فلما استأنسوا بعد ان استيأسوا وانتعشوا بعد أن تعسوا ووثقوا بفيض الكرم واطمأنوا الى دور النعم سألوا عن رفقائهم فقالوا ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامه والاودية . أمطلول دماؤهم أم لهم دية فقيل هيهات هيهات (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) اجتبتهم أيادى الاجتباء بعد أن أبادتهم سطوة الابتلاء (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء) قالوا فالذين غرقوا فى لجج البحار ولم يصلوا الى الدار ولا إلى الديار بل

التقمتهم لهوات التيار قيل هيهات (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء) فالذي جاء بكم وأماتهم أحياهم والذي وكل بكم داعية الشوق حتى استقللتم العناء والهلاك في أريحية الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقربهم فهم حجب العزة وأستار القدرة (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) قالوافهل لنا الى مشاهدتهم سبيل قيل لا فانكم فى حجاب العزة وأستار البشرية وأسر الاجل وقيده فاذا قضيتم أوطاركم وفارقتم أوكاركم فعند ذلك تزاورتم وتلاقيتم قالوا والذين قعد بهم اللؤم والعجز فلم يخرجوا قيل هيهات (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) ولو أردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم فطردناهم أنتم بأنفسكم جئتم أم نحن دعوناكم أنتم اشتقتم ام نحن شوقناكم نحن اقلقناكم فحملناكم وحملناهم فى البر والبحر : فلما سمعوا ذلك واستأنسوا بكمال العناية وضمان الكفاية كمل اهتزازهم وتم وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق التمكين وفارقوا بدوام الطمأنينة امكان التلوين (ولتعلمن نبأه بعد حين) (فصل) أترى هل كان بين الراجع الى تلك الجزيرة وبين المبتدىء من فرق اما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئا * أما من كان راجعا الى عيشه الاصلى (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى) فرجيع اسماع النداء كيف يقال له لم جئت فيقول لم دعيت لاالى فيقول لم حملت الى تلك البلاد وهي بلاد القربة * والجواب على قدر السؤال والسؤال على قدر التفقه والهموم بقدر الهمم (فصل) من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدد العهد بطور الطيرية وأريحية الروحانية * فكلام الطيور لايفهمه الا من هو من الطيور وتجديد العهد بملازمة الوضوء ومراقبه أوقات الصلاة وخلوة ساعة للذكر فهو تجديد العهد الخلو في غفلة لابد من أحد الطريقين (فاذكرونى أذكركم) (أو نسوا الله فنسيهم) فمن سلك سبيل الذكر أنا جليس من ذكرنى ومن سلك سبيل النسيان (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وابن آدم فى كل نفس مصحح أحد هاتين النسبتين ولابد يتلوه يوم القيامة أحد السيماءين اما يعرف المجرمون بسيماهم أو الصالحون بسيماهم فى وجوههم من أثر السجود * نفذك الله بالتوفيق وهداك الى التحقيق وطوى لك الطريق انه بذلك حقيق * والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين آمين — تمت رسالة الطير

ويليها كتاب الجام العوام